الباب الثالث

مكانة المرأة

- مكانة المرأة فى اليهودية ٠
- مكانة المرأة فى المسيحية ٠
- المرأة فى مسيحية المسيح ٠
- المرأة فى مسيحية بولس ٠
- المرأة فى ظل الكنيسة ٠
- مكانة المرأة فى الاسلام ٠

obeikandl.com

obeikandl.com

مكانة المرأة فى اليهودية

● **المرأة هى المسئولة عن الخطيئة البشرية الأولى :**

تقول قصة الخلق فى **الكتاب المقدس** : «أخذ الرب الاله **آدم** ووضعه فى جنة عدن ليعملها ويحفظها • وأوصى الرب الاله آدم قائلا : من جميع شجر الجنة تأكل أكلا • وأما **شجرة معرفة الخير والشر** فلا تأكل منها • لأنك **يوم تأكل منها موتا تموت** •

وقال الرب الاله : ليس جيدا أن يكون آدم وحده • **فاصنع له معينا نظيره** ••

أوقع الرب الاله سباتا على آدم فنام • فأخذ واحدا من أضلاعه وملأ مكانها لحما • وبنى **الرب الاله الضلع التى أخذها من آدم امراة وأحضرها الى آدم** •

فقال آدم : هذه الآن عظم من عظامى ولحم من لحمى • **هذه تدعى امراة** لأنها من امرء أخذت •• وكان كلاهما عريانين آدم وامرأته وهما لا يخجلان •

وكانت الحية أحيل جميع حيوانات البرية التى عملها الرب الاله • فقالت للمرأة : أحقا قال الله لا تأكلا من كل شجر الجنة ؟!

فقالت المرأة للحية : من ثمر الجنة نأكل • وأما ثمر الشجرة التى فى وسط الجنة فقال الله : لا تأكلا منه ولا تمساه **لئلا تموتا** •

فقالت الحية للمرأة **لن تموتا** • بل الله عالم أنه يوم تأكلان منه ، تنفتح أعينكما وتكونان كالله عارفين الخير والشر ••

فأخذت من ثمرها وأكلت ، وأعطت رجلها أيضا معها فأكل • فانفتحت أعينهما وعلما أنهما عريانان ••

وسمعا صوت الاله ماشيا فى الجنة عند هبوب ريح النهار • فاختبأ آدم وامرأته من وجه الرب الاله فى وسط شجر الجنة • فنادى

الرب الاله آدم وقال له : أين أنت ؟ • فقال : سمعت صوتك فى الجنة فخشيت لأنى عريان فاختبأت • فقال : من أعلمك أنك عريان ؟ هل أكلت من الشجرة التى أوصيتك أن لا تأكل منها ؟

فقال آدم : المرأة التى جعلتها معى هى اعطتنى من الشجرة فاكلت •

فقال الرب الاله للمرأة : ما هذا الذى فعلت ؟!

فقالت المرأة : الحية غرتنى فاكلت •

فقال الرب الاله للحيـــة : لأنك فعلت هـــذا ، ملعونة انت من جميع البهائم .. على بطنك تسعين وترابا تاكلين كل أيام حياتك ..

وقال للمرأة : تكثيرا اكثر اتعـاب حبلك • بالوجـع تلدين أولادا • والى رجلك يكون اشتياقك وهو يسود عليك •

وقال لآدم : لأنك سمعت لقول امرأتك .. ملعونة الأرض بسببك • بالتعب تاكل منها كل أيام حياتك .. بعرق وجهـك تأكل خبزا حتى تعود الى الأرض التى أخذت منها • **لأنك تراب والى تراب تعود ..**

وقال الرب الاله : هو ذا الانســان قد صار كواحـد منا عارفا الخير والشر . **والآن لعله يمد يده ويأخذ من شجرة الحياة أيضا ويأكل ويحيا الى الابد** • فأخرجه الرب الاله من جنة عدن ليعمل الأرض التى أخذ منها ــ تكوين ٢ : ١٥ ــ ٢٥ ، ٣ : ١ ــ ٢٤ » •

ان قصة الخلق ، على هذه الصورة ، تثير كثيرا من التساؤلات ...

ونورد هنا بعض الأقوال التى جاءت تعليقا على قصة خلق السموات والأرض والانسان فى **أسـفار الشريعـة الخمسـة** نقلا عن **الترجمـة الفرنسية المسكونية** . فالعلماء يعتقدون أن تأليف هذا السفر استغرق عدة أجيال ؛ وأن مؤلفيه قد اقتبسوا من روايات وتقاليد كثيرة كانت متداولة فى منطقة الشرق الأدنى القديم • فهم يقولون **فى المدخل الى سفر التكوين : « لا بد من التذكر بأن سفر التكوين لم يؤلف دفعة واحدة ، بل جاء نتيجة عمل أدبى استمر عدة أجيال ..**

لم يتردد مؤلفو الكتاب المقدس ، وهم يروون بداية العالم والبشرية ، أن يستقوا معلوماتهم بطريقة مباشرة أو غير مباشرة من تقاليد الشرق الادنى القديم ، ولا سيما من تقاليد ما بين النهرين ومصر والمنطقة الفينيقية الكنعانية • فالاكتشافات الأثرية منذ نحو قرن تدل على وجود كثير من الأمور المشتركة بين الصفحات الأولى من سفر التكوين وبين بعض النصوص الغنائية والحكمية الخاصة بسومر وبابل وطيبة وآوغاريت •• لكن علم الآثار يدل أيضا على أن **المؤلفين الذين اعادوا النظر فى الفصول الأولى من سفر التكوين وأضفوا عليها اللمسات الاخيرة** لم يكونوا مجرد مقلدين عميان ، بل أحسنوا اعادة معالجة المصادر المتوفرة بين أيديهم ••

بديهى أن المقارنة بين نص الكتاب المقدس والروايات المتعلقة ببداية العالم أو بأبطال العصور القديمة لا تخلو من الفائدة فى نظر قارىء الكتاب المقدس • فهناك كثير من الشواهد عن الماضى الأدبى فى الشرق الأدنى القديم ، نذكر منها الرواية البابلية عن خلق العالم عن يد الاله مزدوك ومغامرات جلجامش البطل ••

وضعت روايات الآباء فى زمن يبعد كثيرا عن الأحداث العائدة اليها ».

*

ثم يقول العلماء تعليقا على بعض فقرات خلق آدم وحواء وطردهما من الجنة :

ـ يبدو أن مصدر رواية خلق المرأة (٢ : ١٨ ـ ٢٤) هو تقليد مستقل • فكلمة **انسان فى الآية ١٦ تدل على الرجل** والمرأة ، كما هو الحال فى ٣ : ٢٤ ، ٣ : ١ ـ ٣ الذى يتبع ٢ : ١٧ يقتضى أن تكون الوصية (بعدم الأكل من الشجرة) قد فرضت على الرجل والمرأة ••

ـ يقع الحكم على المذنبين الأولين (آدم وحواء) فى نشاطاتهما الأساسية ..

ـ فالمرأة لا تكون شريكة الرجل ، ولا تساويه (٢ : ١٨ ـ ٢٤) ، بل تمسى فتنة الرجل ، وهو يستعبدها لتلد له الأولاد ..

ـ تصدر شجرة الحياة عن تقليد مواز لتقليد شجرة المعرفة (بالخير والشر) .

ـ الانسان قابل للموت بطبيعته (راجع الآية ١٩ : بعرق وجهك تأكل خبزا حتى تعود الى الارض التى أخذت منها . لأنك تراب والى تراب تعود) لكنه يطمح الى الخلود الذى سيحصل عليه فى آخر الأمر ».

❋

من الواضح الآن ، أن ما ذكره علماء الكتاب المقدس خاصا بسفر التكوين وما جاء فيه من روايات خلق السموات والأرض والانسان وخطيئته الأولى ، قد وضع مصداقية هذه الروايات موضع تساؤل . وليس هذا هو بيت القصيد ، اذ أن هناك كثيرا من الروايات الأخرى لها نفس القدر من المصداقية ، لكن خطورة ما جاء فى رواية الخطيئة الأولى وطرد الانسان بسببها من الجنة ، أنه استمر حتى اليوم يلهب الفكر الاسرائيلى لمدة تزيد عن اثنين وثلاثين قرنا ، ثم الفكر المسيحى لمدة تقرب من عشرين قرنا ، بمفاهيم عن المرأة ، تبين الآن أن مصداقيتها موضع تساؤل .

فالمرأة ، وفق ما سبق بيانه ، هى المسئولة عن الخطيئة الأولى وما ترتب عليها من شقاء للبشرية . **فالمرأة شيطان الرجل ...**

ولهذا جاء عقابها مضاعفا : فمتاعب حبلها كثيرة ، وولادتها بالوجع ...

وهنا يلح سؤال : ان اناث الحيوانات تحمل وتلد بمتاعب وأوجاع كثيرة ، فهل يحدث لها ذلك بسبب خطيئة ارتكبتها جداتها فى الأزل ؟! ...

ان عقاب المرأة لم يقتصر على آلام الحمل والولادة ، ولا على

متاعب الحياة الأخرى التى تشترك فيها مع الرجل ، بل تعداه الى تسلط الرجل عليها ، فهو سيدها ، وفق نص **الكتاب المقدس** ، وهى « لا تكون شريكة الرجل ، ولا تساويه ، بل تمسى فتنة الرجل ، وهو يستعبدها لتلد له الأولاد » ، وفق نص علماء **الكتاب المقدس** .

**

● **زوجة العبد وأولادها ملك لسيده :**

« اذا اشتريت عبدا عبرانيا ، فست سنين يخدم وفى السابعة يخرج حرا مجانا .. ان أعطاه سيده امرأة وولدت له بنين أو بنات ، **فالمرأة وأولادها يكونون لسيده ، وهو يخرج وحده** .

ولكن ان قال العبد : أحب سيدى وامرأتى وأولادى ، لا أخرج حرا ، يقدمه سيده الى الله .. **ويثقب سيده أذنه بالمثقب ، فيخدمه الى الأبد** ـ خروج ٢١ : ٢ ـ ٦ » .

*

● **المرأة تباع وتشترى :**

« **اذا باع رجل ابنته أمة ، لا تخرج كما يخرج العبيد** ـ خروج ٢١ : ٧ » .

« قال بوعز للشيوخ ولجميع الشعب : أنتم شهود اليوم قد **اشتريت** كل ما لأليمالك .... وكذا **راعوث الموآبية ، امرأة محلون قد اشتريتها لى امراة** ـ راعوث ٤ : ٩ ـ ١٠ » .

وراعوث هذه جدة داود .

*

● **نجاسة ولادة الأنثى ضعف نجاسة ولادة الذكر :**

اذا حبلت امرأة **وولدت ذكرا ، تكون نجسة سبعة أيام .. ثم تقيم ثلاثة وثلاثين يوما** فى دم تطهيرها .

وان ولدت انثى ، تكون نجسة أسبوعين .. ثم تقيم ستة وستين يوما فى دم تطهيرها ــ لاويين ١٢ : ١ ــ ٥ » .

*

● **الميراث للذكور فقط :**

« اذا كان لرجل امرأتان : احداهما محبوبة والأخرى مكروهة ، فولدتا له **بنين** ، المحبوبة والمكروهة . فان كان **الابن البكر** للمكروهة ، فيوم يقسم **لبنيه** ما كان له ، لا يحل له أن يقدم **ابن** المحبوبة بكرا على **ابن** المكروهة البكر . بل يعرف **ابن** المكروهة بكرا **ليعطيه نصيب اثنين** من كل ما يوجد عنده لأنه هو أول قدرته ، **له حق البكورية** ــ تثنية ٢١ : ١٥ ــ ١٧ » .

● **ولا ترث الاناث الا عند فقد الذكور :**

«تقدمت بنات صلفحاد ....ووقفن أمام موسى.... قائلات : أبونا مات فى البرية .. **ولم يكن له بنون** . لماذا يحذف اسم أبينا من بين عشيرته **لانه ليس له ابن** ؟! أعطنا ملكا بين اخوة أبينا . فقدم موسى دعواهن أمام الرب .

فكلم الرب موسى قائلا : بحق تكلمت بنات صلفحاد ، فتعطيهن ملك نصيب بين اخوة أبيهن ، **وتنقل نصيب ابيهن اليهن** .

وتكلم بنى اسرائيل قائلا : أيما رجل مات **وليس له ابن** ، **تنقلون ملكه الى ابنته** . وان لم يكن له ابنة ، تعطون ملكه لاخوته . وان لم يكن له اخوة ، تعطون ملكه **لاخوة أبيه** . وان لم يكن لأبيه اخوة ، تعطوا ملكه **لنسيبه** الأقرب اليه من عشيرته فيرثه .

فصارت لبنى اسرائيل فريضة قضاء ، كما أمر الرب موسى ــ عدد ٢٧ : ١ ــ ١١ » وهكذا يتحول الميراث الى الذكور فقط ؛ **اذا لم** يوجد للميت ابنة ترثه .

*

● **عقوبات خاصة بالنساء فقط :**

قطع اليد : « اذا تخاصم رجلان بعضهما بعضا ، **رجل وأخوه** ، وتقدمت امرأة أحدهما لكى تخلص رجلها من يد ضاربه ومدت يدها وأمسكت بعورته ، **فاقطع يدها ولا تشفق عينك** ـ تثنية ٢٥ : ١١ ـ ١٢ » .

الاحراق بالنار : « اذا تدنست ابنة كاهن بالزنا ، فقد دنست أباها . **بالنار تحرق** ـ لاويين ٢١ : ٩ » .

**

ومن هذا المنطلق الفكرى الخاص بمسئولية المرأة عن الخطيئة الأولى ، وجلبها المتاعب للجنس البشرى ؛ وضرورة تسلط الرجل عليها « واستعبادها لتلد له الأولاد » ، فقد ترجم هذا الفكر الى قوانين تحكم أحوال الأسرة ، مثلما جاء فى كتاب : **الأحكام العبرية** ، ونذكر منها :

● **فى الزواج والطلاق والانفاق :**

ـ المادة ٤٠٢ : « ما أسعد من رزقه الله ذكورا ، **وما أسوأ حظ من لم يرزق بغير الاناث** . نعم ، لا ينكر لزوم الاناث للتناسل ، الا **أن الذرية كالتجارة** سواء بسواء . فالجلد والعطر كلاهما لازم للناس الا أن النفس تميل الى رائحة العطر الزكية وتكره رائحة الجلد الخبيثة . فهل يقاس الجلد بالعطر » ؟!

ـ المادة ٤٠٧ : « اذا لم تدخل الزوجة على زوجها بمال على ذمة الزوجية ، فلا يكلف الزوج بأن ينفق عليها فى غير الحاجيات اللازمة التى لا بد منها . أما اذا دخلت عليه بمال ، فيجب عليه التوسع فى النفقة بقدر حاله » .

ـ المادة ٤١٣ : « سلطة الزوج على الزوجة فى أمر التربية

وتعليم أمور الدين والدنيا مطلقة لا حدود لها ، فعليه أن يستعملها فى محلها مع الحكمة والاعتدال » .

ـ المادة ٤١٤ : « متى خرجت الزوجة من بيت أهلها ودخلت بيت زوجها ، صار له عليها حق الطاعة التامة والامتثال الكلى فى جميع ما يأمرها به . فعليها ألا تخالفه فى شىء مما يطلبه منها ، بل تمتثل له كما تمتثل الجارية لسيدها » .

ـ المادة ٤١٨ : « مهما بلغت ثروة الزوجة ومهما كان مقدار المال الذى دخلت به للاعانة على حوائج الزوجية ، فانه يجب عليها القيام بالأعمال اللازمة لبيتها صغيرة كانت الأعمال أو كبيرة ، لأن البطالة تؤدى الى فساد الأخلاق . وليس لها مفارقة زوجها لأى سبب كان حتى لو أصيب بعجز أو صار مقعدا ، واحتاج للسؤال لأجل النفقة عليها » .

ـ المادة ٤١٩ : « جميع مال الزوجة ملك لزوجها ، وليس لها سوى ما فرض لها من المهر فى عقد الزواج تطالب به بعد موته ، أو عند الطلاق اذا وقعت الفرقة . فكل ما دخلت به من المال على ذمة الزوجية ، وكل ما تلتقطه ، وكل ما تكسبه من سعى وعمل ، وكل ما يهدى اليها فى عرسها ، ملك حلال لزوجها يتصرف فيه كيف شاء ، بدون معارض ولا منازع » .

ـ المادة ٤٢٦ : « اذا ماتت الزوجة ولم تعقب ذرية من الأولاد ، فزوجها وارثها الشرعى » .

ـ المادة ٤٢٨ : « الأسباب التى يحل معها الطلاق ، ثلاثة : الزنا ، والعقم ، وعيوب الخلقة وعيوب الخلق » .

ـ المادة ٤٢٩ : « يحل للرجل أن يطلق زوجته اذا أشيع عنها الزنا ولو لم يثبت عليها الزنا فعلا . كما يحل له طلاقها اذا اتضح له بعد الزواج أنها كانت سيئة السلوك » .

ـ المـادة ٤٣٠ : « **يجب على من لم يرزق من زوجته بذرية بعد معاشرتها عشر سنوات ، أن يفارقها ويتزوج غيرها** » .

ـ المـادة ٤٣٣ : « **ليس للمرأة أن تطلب الطـلاق مهما كانت عيوب زوجها حتى ولو ثبت عليه الزنـا** » .

ـ المـادة ٤٣٤ : « **متى نوى الزوج الطلاق حرمت عليه معاشرة زوجته** . فبمجرد عزمه على مفارقتها وجب عليه الاسراع الى طلاقها » .

*

● **فى الميراث :**

ـ المـادة ٣١٣ : « **اذا لم يكن للميت ولد ذكر فميراثه لابن اخيه ،** وان لم يكن له ابن ابن فالميراث للبنت . وان لم يكن له بنت فالميراث **لأولاد البنت ، واذا لم يكن له حفـدة فلأولاد أولادهم الذكور .** واذا لم يكن له أولاد حفدة من الذكور فالميراث لبنات الحفدة » .

ـ المـادة ٣١٥ : « اذا لم يعقب الميت ذرية ولا نسـلا من ذكر أو أنثى ، أولادا أو حفـدة ، أو من نسـلهم ذكورا أو اناثا ، فميراثه لأصوله . وأحق الأصول بميراث الميت **أبوه وله كل التركة** ، واذا لم يكن له أب ، فجده ثم أصوله من أبيه » .

* *

أما بعـد ...

ان نصوص « **الكتاب** » و « **الأحكام** » تنطق بحقيقة مكانة المرأة فى اليهودية ، ولا حاجة بنا الى تعليق ...

* * *

مكانـــة المرأة فى المســيحية

● **تمهيـــد :**

يقول **مايكل هارت** فى كتـــابه : **المـــائة : أعظم النـــاس أثرا فى التاريخ** ، عند الكلام عن المسيح : أن « **المسيحية لم يؤسسها شخص واحد ، وانما اقامها اثنان : المسيح والقديس بولس** . ولذلك يجب أن يتقاسم شرف انشائها هذان الرجلان .

فالمسيح قد أرسى المبادىء الأخلاقية للمســيحية ، وكذلك نظرتها الروحية وكل ما يتعلق بالسلوك الانسانى . أما مبادىء اللاهوت فهى من صنع القديس بولس . فالمسيح هو صاحب الرســالة الروحيــة ، **ولكن القديس بولس أضاف اليها عبادة المسيح** . كما أن القديس بولس هو الذى ألف جانبـــا كبيرا من **العهد الجديد** ، وكان المبشر الأول للمسيحية فى القرن الأول للميلاد ..

ولهذه الاسباب ، فان عـــددا من الباحثين يرون أن مؤسس هـــذه الديانة المسيحية هو القديس بولس وليس السيد المسيح ..

وليس من المنطق فى شىء أن يكون السيد المسيح نفسه مسئولا عن الذى أضافته الكنيسة او رجالها الى الديانة المســيحية . فكثير ممـــا أضافوه يتنافى مع تعاليم المسيح نفسه ..

واذا كانت العلوم تطورت فى العالم الغربى المسيحى ، فليس من المنطق أن يقال ان المسيحية هى المسئولة عن نهضة العلوم فى العشرين قرنا المـــاضية . فلم نجـــد فى شروح رجال الدين المسيحى من يقول ان المسيحية تدعو الى التأمل فى الكون أو الدعوة الى التفكير العلمى . ومن المؤكد أن تحول الامبراطورية الرومانية الى المسيحية ، قد صاحبه

فى نفس الوقت انحطاط رهيب المستوى للتكنولوجيا والاهتمام بالعلم .. ولم يكن ليسوع أى دور سياسى فى حياته ، ولا كان للمسيحية أثر سياسى .. والحقيقة أن (مبادئه) لم تلق رواجا واسعا بين الناس ، ولا حتى هى مقبولة عند الناس .. فأكثر المسيحيين يرون أن الدعوة لأن : نحب أعداءنا ، اسراف فى المثالية لا يمكن تطبيقه الا فى عالم خيالى . ونحن عادة لا نطبق هذا المبدأ ، ولا نتوقع من الآخرين أن يفعلوا ذلك . ولا حتى ننصح أطفالنا أن يمشوا على هداه ، وكذلك معظم تعاليم السيد المسيح ظلت محيرة » .

ويقول **مايكل هارت** عن بولس : ان « القديس بولس لم يتزوج ، بل لم يقرب امرأة . **وكان له رأى فى المرأة والجنس والزواج ، وهذا الرأى قد ترك اثرا عميقا فى الفكر الأوربى** . يقول فى رسالته الاولى الى أهل كورنثوس : أقول لغير المتزوجين وللأرامل : انه خير لهم أن يبقوا مثلى ..

ويقول فى رسالته الى تيموثاوس : ان على المرأة أن تتعلم فى سكون وخضوع ، ولا أسمح لها بأن تتسلط على الرجل . فآدم قد خلقه الله قبل حواء .

والقديس بولس انما يردد أفكارا شائعة فى زمانه . **ولكن السيد المسيح لم يكن يبشر بشىء من هذا الذى قاله بولس الرسول ..**

وبولس الرسول هذا هو المسئول الأول عن تحويل الديانة المسيحية من مجرد طائفة يهودية الى ديانة كبرى . **وهو المسئول الأول عن تأليه المسيح . بل ان بعض فلاسفة المسيحية يرون أنه هو الذى اقام المسيحية ، وليس المسيح** » .

*

بين مسيحية بولس ومسيحية المسيح

لقد كان ما قدمناه عرضا اجماليا ، فحواه أن هناك مسيحيتان مختلفتان هما : **مسيحية المسيح** ، **ومسيحية بولس** . فلننظر الآن فى محتوى كل منهما فيما يتعلق بعدد محدود من المعتقدات الأساسية التى كان لها أعمق الأثر فى السلوك المسيحى عبر القرون ، وخاصة فيما يتعلق بالمرأة .

١ ـ الخطيئة الأصلية :

اعتقد بولس أن حواء هى التى أخطأت أولا ، ثم أغوت آدم فانقاد وراءها وأخطأ ثانيا ((١) تيموثاوس ٢ : ١٢ ـ ١٤) ، وبناء على هذه الفرضية وضع بولس نظريته فى **الخطيئة الأصلية** ، أو ما يقال له خطيئة آدم المتوارثة . فهو يقول : « بانسان واحد دخلت الخطية الى العالم وبالخطية الموت . **وهكذا اجتاز الموت الى جميع الناس ، اذ اخطأ الجميع** ـ رومية ٥ : ١٢ » .

وفى هذا يقول **وليم باركلى** : « **لقد كان كل الناس ، حسب تفكير بولس ، متورطين فى خطيئة آدم** . فهذا هو لب الاصحاح الخامس من رسالته الى أهل رومية .. ان هذا القول بالنسبة لنا يعتبر جدلا غريبا ، لكنه يتفق مع تفكير اليهودى الذى كان يعتقد تماما بفكرة التضامن »[1] .

ويقول **تشارلز دود** : **كيف جاءت الخطيئة الى الطبيعة البشرية هذا سؤال لا يعطى عنه بولس اجابة كافية** .

---

(1) W . Barclay : The Mind of St Paul, p. 138 .

فهو تارة يرجع ذلك الى خطيئة تاريخية ارتكبها جد الانسانية فى غابر الزمان .. لكنا نجد بولس فى بعض الفقرات ، يقترح مصادر أخرى لخطيئة البشر . فقد كانت خلفية عالمه المعاصر تعتقد بوجود حكام العالم ، من الأرواح الجوهرية (القوى الخفية) التى لها بعض العلاقات الخاصة بالعالم المادى ..

واذا كان القول بتناقل البشر خطيئة آدم يمثل تعليما يهوديا ، فان القول بنظرية الأرواح الجوهرية يأتى بالأحرى من الأفكار الاغريقية . ولو أن أيا منها لا يقنعنا بشىء »[1] .

ويمضى بولس الى أبعد من ذلك ، اذ يجعل الخطيئة سببا للموت الطبيعى . يقول **باركلى** : « لقد رأى بولس **أن الخطية** لم تحدث موتا روحيا وأخلاقيا فحسب ، **بل أحدثت كذلك الموت الجسدى** . لقد جاء الموت الى العالم مع مجىء الخطية (اجتاز الموت الى جميع الناس ــ رومية ٥ : ١٢) ، وأن الخطية قادت الى الموت (ملكت الخطيئة فى الموت ــ ٥ : ٢١) ، **وأن أجرة الخطيئة هى الموت** ــ ٦ : ٢٣) . أى أنه عن طريق الخطية وبسببها ، دخل الموت الى العالم . فالخطية تهدم الحياة الروحية والأخلاقية **والجسدية** »[2] .

*

ان قول بولس بأن الخطيئة قادت الى الموت الجسدى ، ينقضه تماما الآتى :

١ ــ تقول قصة الخلق الأول ، ان الجنة التى وضع فيها آدم ، كان بها شجرتان هما : شجرة الحياة ، وشجرة معرفة الخير والشر : « وغرس الرب الاله جنة عدن شرقا . ووضع هناك آدم الذى جبله . وأنبت الرب الاله من الأرض كل شجرة شهية للنظر وجيدة للأكل .

---

(١) C. Dodd : The Meaning of Paul for Today, pp. 62 - 63.

(٢) W. Barclay : The Mind of St. Paul, p. 142.

وشجرة الحياة فى وسط الجنة ، وشجرة معرفة الخير والشر ـ تكوين ٢ : ٨ ـ ٩ »

وكان أمر الله الى آدم : « من جميع شجر الجنـة تأكل أكلا . **واما شجرة** معرفة الخير والشر فلا تأكل منها » .

وبعد أن عصى آدم وزوجه وأكلا من شجرة معرفة الخير والشر ، « قال الرب الاله : هوذا الانسان قد صار كواحد منا ، عارفا الخير والشر .

والآن لعله يمد يده ويأخذ من شجرة الحياة أيضا ويأكل ويحيـا الى الأبد . فأخرجه الرب الاله من جنة عدن ليعمل الأرض التى أخـذ منها ـ تكوين ٣ : ٢٢ » .

ان هذا النص واضح فى أن الانسان الأول ، رغم ارتكابه الخطيئة الأولى ، قد كان من الممكن أن يحيا الى الأبد ، أى لا يذوق الموت أبدا ، وذلك بأن يأكل من شجرة الحياة . ولمـا كان الرب قد أخضعه أصـلا لسلطان الموت ، مثلما أخضـع الكائنات الحيـة الأخرى التى خلقت قبله لسلطان الموت ـ من نبات وحيوان وطيور ، فى البر والبحر والجو ، فقد طرده من الجنة حتى لا يأكل من شجرة الحياة ويحيا الى الأبد . فلا علاقة ، اذن ، بين الخطيـة والموت الجسـدى أو الموت الطبيعى .

٢ ـ تقول **كتب الشريعة الخمسة** فى بيان معنى قـول الرب : والآن لعله يمد يده ويأخذ من شجرة الحياة أيضا ويأكل ويحيـا الى الأبد » **ان** : « **الانسان قابل للموت بطبيعته** (راجع الآية ١٩) » .

والآية المشار اليها هى التى تقول : « بعرق وجهك تأكل خبزا حتى تعود الى الأرض التى أخذت منها . **لانك تراب والى تراب تعود** » . فالموت الطبيعى قضـاء على الانسـان ، سـواء أخطأ أو لم يخطىء . ذلك هو الناموس العام ، واذا كانت هناك حالات خاصة ، فانها

لا تعتبر مقياسا يحكم كل الناس . فخبرات الحياة تقطع بوجود مثل هذه الحالات فى شتى المجالات .

فالكتاب المقدس يتحدث عن أبرار من ذرية آدم وحواء ولدوا قبل المسيح بآلاف السنين ورضى الله عنهم ونقلهم الى الأبدية دون أن يذوقوا الموت :

« سار أخنوخ (ادريس) مع الله ، **ولم يوجد لان الله أخذه** ـ تكوين ٥ : ٢٤ » .

وتحدث عنه كاتب الرسالة الى العبرانيين ، فقال :

« بالايمان نقل أخنوخ لكى لا يرى الموت ، ولم يوجد لأن الله نقله ، اذ قبل نقله شهد له **بأنه قد أرضى الله** ـ عبرانيين ١١ : ٥ » .

٣ ـ يقول الكتاب المقدس ان هناك من خلق الله من أخطأ ، لكن الله لم يقض عليه بالموت ، لأن طبيعته ألا يموت ، انما عذبه الى الأبد . وهؤلاء الذين أخطأوا ، أسماهم الكتاب المقدس ، **ملائكة** ، وقال فيهم بطرس : **« الله لم يشفق على ملائكة قد أخطأوا ، بل فى سلاسل الظلام طرحهم فى جهنم ، وسلمهم محروسين للقضاء** ـ (٢) بطرس ٢ : ٤ » .

وقال فيهم يهوذا ، أخو المسيح الذى ذكره متى فى ١٣ : ٥٥ ، ان **« الملائكة الذين لم يحفظوا رياستهم ، بل تركوا مسكنهم ، حفظهم الى دينونة اليوم العظيم بقيود أبدية تحت الظلام** ـ يهوذا : ٦ » .

فهؤلاء رغم أنهم أخطأوا ، الا أنهم لم يموتوا موتا يناسب طبيعتهم غير المادية ، مثل تحلل طاقتهم وفنائها ، لأنهم ملائكة ، يقول فى مثلهم الانجيل : **« لا يستطيعون أن يموتوا أيضا ، لأنهم مثل الملائكة** ـ لوقا ٢٠ : ٣٦ » .

وجدير بالذكر أن خطيئة هؤلاء الملائكة ، الذين دعاهم الكتاب المقدس أبناء الله ، كانت ـ كما تقول حاشية العهد الجديد للكاثوليك ـ أنهم : « استسلموا للفجور (سفر التكوين ٦ : ١ ـ ٢) » .

وهذه الفقرة ، هى التى تتحدث عن غواية النساء الجميلات (بنات

الناس) لأبناء الله (الملائكة) ، وتولد عن ذلك الزنا جيل من الجبابرة ، فهى تقول : « وحدث لما ابتدأ الناس يكثرون على الأرض وولد لهم **بنات ، أن أبناء الله رأوا بنات الناس أنهن حسنات . فاتخذوا لأنفسهم نساء من كل ما اختاروا** .. بعد ذلك أيضا اذ دخل بنو الله على بنات الناس وولدن لهم أولادا . هؤلاء هم الجبابرة » .

وتقول كتب **الشريعة الخمسة** تعليقا على هذه الفقرة ، **ان « اليهودية اللاحقة ، وجميع المؤلفين المسيحيين الأولين تقريبا ، رأوا فى (بنو الله) ــ أبناء الله ــ هؤلاء ملائكة مذنبين »** .

فمما سبق ، وغيره كثير ، يتبين أنه لا صحة على الاطلاق للقول بأن الخطيئة قادت الى الموت الجسدى .

*

لقد جاءت هذه التعاليم فى مسيحية بولس ، **أما مسيحية المسيح ، فقد خلت من كل حديث عن خطيئة آدم الأولى وتعدى حواء ، والزعم بأنها خطيئة متوارثة علقت بالذرية دونما فكاك** .

لقد تكلم المسيح فى موعظة الجبل ، وفى غيرها ، عن : الذنوب ، والمذنبين ، وغفران الزلات (متى ٦ : ١٢ ــ ١٥) .

وحدد المسيح الخطايا والنجسات التى تلوث الانسان بأنها : « أفكار شريرة ، قتل ، زنا ، فسق ، سرقه ، شهادة زور ، تجديف . هذه هى التى تنجس الانسان ــ متى ١٥ : ١٩ ــ ٢٠ » .

ومن الناس ، فى كل زمان ومكان ، وفى أيام المسيح ، من اشتهر بارتكاب هذه الخطايا ، ومن ثم عرفوا بالخطاة أو المذنبين . ولقد عاب الفريسيون على المسيح مخالطته أولئك الخطاة ، فقالوا لتلاميذه : « لماذا يأكل معلمكم مع العشارين **والخطاة** ؟!

فلما سمع يسوع قال لهم : لا يحتاج الأصحاء الى طبيب ، بل المرضى .. لأنى لـم آت لأدعـو أبرارا ، **بل خطـاة الى التوبـة** ـ متى ٩ : ١١ ـ ١٣ » .

لقد كان هؤلاء الخطاة جزءا من بنى آدم ، درجوا على ارتكاب المحرمات المعروفة لدى البشر ، وكان الأبرار . جزءا آخر من بنى آدم حفظوا أنفسهم من تلك الخطايا ، فنجوا . **ولا علاقـة لهؤلاء وهؤلاء بخطيئة آدم ، اذ لو كانت متوارثة حقـا ، حسب نظرية بولس ، لكان الجميع خطـاة فى نظر المسـيح . وهـذا ما لا يسـتطيع أى مكابر أن يزعمه .**

هذا ، وتقول الراهبة **كارن ارمسترونج** : « من الواضح أن معتقد الخطيئة الأصلية شىء جوهرى فى المسيحية حسبما نفهمها الآن ، ومع ذلك فانه لم يظهر فى شكله النهائى قبل القرن الرابع . **ان المسيح لم يتكلم أبدا فى الأناجيل ، ولو مرة واحدة ، عن خطيئة آدم ، أو عن تأثيرات الخطيئة الأصلية فى كل واحد منا . ولعله قد يروعه هذا المعتقد ، حسبما تعلمناه** . لقد كان المسيح ، بالطبع ، يهوديا ، ورغم أن سفر التكوين كتاب يهودى ، فلا يوجد مثل هذا المعتقد ـ معتقد الخطيئة الأصلية ـ **فى اليهودية . انه اختراع مسيحى بكل معنى الكلمة ..**

ان الخطيئة فى اليهودية شىء مختلف عنها فى المسيحية ، فهى فى اليهودية ليست تدميرا كليـا . فبالرغم من أن الله يعاقب اليهود ، فى العهد القديم ، عندما يخطئون ، فانه سوف يعفو عنهم دائما . فلا يوجد على الاطلاق أى فكرة تقول بأن كل الناس يرثون خطيئة متأصلة فى طبيعتهم ، تحكم عليهم بالخلود أبدا فى عذاب جهنم الا اذا أرسل الله مخلصا لهم . فمن المؤكد أنه فى أيام المسيح ، كان بعض اليهود ينتظرون مسيا ، لكن لم يوجد أى يهودى ينتظر المسـيا (الذى يرفع خطايا العـالم) .

لهذا ، فان معتقد الخطيئة الاصلية ، انما هو من اختراع المسيحية ، ولقد كان له اعمق الاثر فى الفكر الغربى . فهو يعلمنا ان طبيعتنا شر وميئوس منها ، وقد جعل الدين ، بالنسبة لكثير من الناس ، عملا لا امل فيه: فهو معركة الشعور بالاثم مع نفس تظهر أنها ترفض الخلاص ، ورعب من جهنم . وأخيرا ــ فانه بسبب الطريقة التى صنع بها هذا المعتقد ــ فهو خوف من الجنس وكراهية للنساء .

لقد كان القديس بولس هو الذى ورثنا معتقد الخطيئة الاصلية فى المسيحية »(١) .

* *

٢ ــ الالتزام بالناموس :

أكد المسيح على ضرورة الالتزام بالناموس فى كل حين ، كما رأينا سلفا ، فى مثل قوله : « **زوال السماء والارض أيسر من أن تسقط نقطة واحدة من الناموس** ــ لوقا ١٦ : ١٧ »

ولما كان الناموس يقول : « **اذكر يوم السبت لتقدسه . ستة** أيام تعمل وتصنع جميع عملك . وأما اليوم السابع ففيه سبت للرب الهك . لا تصنع عملا ما ــ خروج ٢٠ : ٨ ــ ١٠ » .

فقد حرص المسيح على احترام هذه الوصية حتى نهاية العالم ومجىء يوم الدينونة ، فقال : « صلوا لكى لا يكون هربكم فى شتاء **ولا فى سبت** ــ متى ٢٤ : ٢٠ » .

لم يعرف المسيح ، اذن ، يوم الأحد ، لكنه عرف يوم السبت ودعا الى تقديسه ...

---

(١) K . Armstrong : THE GOSPEL ACCORDING TO WOMAN pp. 26 - 29.

أما بولس فقد أبطل الناموس ، وهاجمه بعنف • فكانت تعاليمه نقيضا لتعاليم المسيح • فهو يقول :

« **قد تبطلتم عن المسيح أيها الذين تتبررون بالناموس ، سقطتم من النعمة** ــ غلاطية ٥ : ٤ » •

« **نعلم أن الانسان لا يتبرر بالناموس ، بل بايمان يسوع المسيح •• لأنه باعمال الناموس لا يتبرر جسد ما** ــ غلاطية ٢ : ١٦ » •

« جميع الذين هم من أعمال الناموس هم تحت لعنة ••

« **قد كان الناموس مؤدبنا الى المسيح** لكى تتبرر بالايمان • ولكن بعد ما جاء الايمان **لسنا بعد تحت مؤدب** غلاطية ٣ : ١٠ ــ ٢٥ » •

* *

٣ ــ كيفية الخلاص :

تقول مسيحية بولس ان مصالحة الانسان مع الله اقتضت قتل المسيح على الصليب : « ونحن أعداء قد صولحنا مع الله بموت ابنه ــ رومية ٥ : ١٠ » •

« **اني لم أعزم أن أعرف شيئا بينكم الا يسوع المسيح واياه مصلوبا** ــ (١) كورنثوس ٢ : ٢ » •

وانتهى المطاف ببولس أن جعل المسيح لعنة !

« المسيح افتدانا من لعنة الناموس ، **اذ صار لعنة لأجلنا** • لأنه مكتوب : ملعون كل من علق على خشبة ــ غلاطية ٣ : ١٣ » •

لكن مسيحية المسيح ترفض الذبيحة البولسية ، وتؤكد أن الله يريد الرحمة ، لا الذبيحة ، ولو كانت ذبيحة حيوان من عجول وتيوس ، فمال هؤلاء القوم يريدونها ذبيحة انسان كان يرفض أن يموت ؟!

لقد قال المسيح لأولئك المتحجرين من الفريسيين ، أصحاب الطقوس والذبائح : « اذهبوا وتعلموا ما هو :**انى اريد رحمة لا ذبيحة** ـ متى ٩ : ١٣ » .

وقال ثانية : « لو علمتم ما هو : **انى اريد رحمة لا ذبيحة** ـ متى ١٢ : ٧ » .

وهذا الذى قاله المسيح ، هو ما تعلمه من أسفار العهد القديم ، اذ تقول : « بذبيحة وتقدمة لم تسر .. **محرقة وذبيحة خطية لم تطلب** مزمور ٤٠ : ٦ » .

« **نجنى من الدماء يا الله .. لانك لا تسر بذبيحة** ، والا فكنت أقدمها . بمحرقة لا ترضى . **ذبائح الله هى روح منكسرة** ـ مزمور ٥١ : ١٤ ـ ١٧ » .

« ذبيحة الأشرار مكرهة الرب ، **وصلاة المستقيمين مرضاته** ـ أمثال ١٥ : ٨ » .

ان الأناجيل تشهد على أن فكرة قتل المسيح ـ التى روج لها بولس ـ كانت غريبة تماما على تفكير المسيح ، فقد استنكرها تماما وفزع منها حين أحس بالخطر يتهدده . ونعرض بعضا من هذه المشاهد :

فى جدال حاد بين المسيح واليهود ، قال لهم : « **لماذا تطلبون أن تقتلونى .. وأنا انسان قد حدثكم بالحق الذى سمعه من الله . هذا لم يعمله ابراهيم** ـ يوحنا ٧ : ١٩ ، ٨ : ٤٠ » .

وفى نهاية الفترة التى سبقت عملية القبض على ذلك الذى صلبوه ، قال المسيح فى صلاته لله : « **وهذه هى الحياة الأبدية : أن يعرفوك أنت الاله الحقيقى وحدك ، ويسوع المسيح الذى أرسلته .. العمل الذى أعطيتنى لأعمل قد اكملته** ـ يوحنا ١٧ : ٣ ـ ٤ » .

لقد اكتملت رسالة المسيح تماما قبل حادث الصلب ، فمن ذا الذى يفتى بما يخالف شهادة المسيح ؟!

وينطق كل مشهد من مشاهد المعاناة فى الحديقة ، أن المسيح

كان يرفض فكرة قتله رفضا تاما . فلقد أصابته حالة من الفزع والانهيار كلما تصور أن تلك ستكون نهايته :

« **ابتدأ يدهش ويكتئب . فقال لهم : نفسى حزينة جدا حتى الموت .... وكان يصلى لكى تعبر عنه الساعة ان أمكن** . وقال يا أبا الآب : كل شىء مستطاع لك . **فأجز عنى هذه الكأس** .. وصلى ثالثة قائلا ذلك الكلام بعينه ..

وظهر له ملاك من السماء يقويه . واذ كان فى جهاد ، كان يصلى بأشد لجاجة ، وصار عرقه كقطرات دم نازلة على الأرض ـ مرقس ١٤ : ٣٣ ـ ٣٦ ، لوقا ٢٢ : ٤٣ ـ ٤٤ » .

وأخيرا ، فان ذلك الذى قبضوا عليه وصلبوه ، كان يرجوهم ، حتى آخر لحظة ، أن يطلقوه ولا يقتلونه :

« اجتمعت مشيخة الشعب ورؤساء الكهنة والكتبة وأصعدوه الى مجمعهم قائلين : ان كنت أنت المسيح فقل لنا .

فقال لهم : ان قلت لكم لا تصدقون . **وان سألت لا تجيبوننى ولا تطلقوننى** ـ لوقا ٢٢ : ٦٦ ـ ٦٨ » .

من ذا الذى يجرؤ ـ اذن ـ على القول بأن المسيح جاء ليبذل نفسه طواعية ، فداء لخطايا البشر ؟!

*

نحن الآن أمام مسيحيتان : مسيحية المسيح التى تستقى أساسا من الأناجيل ، ومسيحية بولس التى سطرها فى رسائله ، ولا عجب فى ذلك . فتلك حقيقة مرة يعترف بها علماء المسيحية حين يقولون : « **ان العهد الجديد كتاب غير متجانس ، ذلك انه شتات مجمع . فهو لا يمثل وجهة نظر واحدة تسوده من أوله الى آخره ، لكنه فى الواقع يمثل وجهات نظر مختلفة** »(١) .

فعلينا الآن أن ننظر مكانة المرأة فى كل من هاتين المسيحيتين .

**

(١) F. Grant : THE GOSPELS, p. 15.

● **مواقف المسيح مع المرأة :**

كان المسيح رحيما بالمرضى ، فشـفى بأمر الله كثيرا من الأمراض والعاهات . يستوى فى ذلك الرجال والنساء . فشفى من النسـاء حماة بطرس (متى ٨ : ١٤ ــ ١٥) ، « وامرأة نازفة دم منـذ اثنتى عشرة سنة .. قالت فى نفسها : ان مسست ثوبه فقط شفيت . فالتفت يسوع وأبصرها فقال : **ثقى يا ابنة . ايمانك قد شفاك . فشفيت المرأة من تلك الساعة** ــ متى ٩ : ٢٠ ــ ٢٢ » .

« وكان يسـير فى مدينـة وقرية يكرز ويبشر بملكوت الله ومعه الاثنا عشر وبعض النسـاء كن قد شفين من أرواح شريرة وأمراض . مريم المجدلية التى خرج منها سبعة شياطين . ويونا امرأة خوزى وكيل هيرودس . وسـوسنة وأخـر كثيرات ، **كن يخدمنه من اموالهن** ــ لوقا ٧ : ١ ــ ٣ » .

وكما شفى النساء ، فقد شفى الرجال : « وفيما هو خارج من أريحا مع تلاميذه .. كان بارتيماوس الأعمى .. جالسا على الطريق .. فلما سـمع أنه يسـوع الناصرى ، ابتدأ يصرخ ويقول : **يا يسوع ابن داود ارحمنى** ..

فقال يسوع : اذهب . ايمانك قد شفاك . فللوقت أبصر وتبـع يسوع فى الطريق ــ مرقس ١٠ : ٤٦ ــ ٥٢ » . « وكان يسوع يطوف المدن كلهـا والقرى ويعلم فى مجامعها ويكرز ببشـارة الملكوت ويشفى كل مرض وكل ضعف فى الشعب . ولمـا رأى الجموع تحنن عليهم ، اذ كانوا منزعجين ومنطرحين كغنم لا راعى لها ــ متى ٩ : ٣٦ ــ ٣٩ » .

وفى كل هذا ، وغيره من الآيات التى صنعها المسيح ، كان يعلمهم أنه شـخصيا ليس له فضـل فى ذلك ، انما الفضـل كله لله . فكثيرا ما قال لهم « **أنا لا اقدر أن افعل من نفسى شيئاً** ــ يوحنا ٥ : ٣٠ » .

وكان ذلك هو ما علم به بطرس ، رئيس التلاميذ ، فقال على الملأ : « أيها الرجال الاسرائيليون ، اسمعوا هذه الأقوال : يسوع الناصرى **رجل** قد تبرهن لكم من قبل الله بقوات وعجائب وآيات ،**صنعها الله بيده** فى وسطكم كما أنتم أيضا تعلمون ــ أعمال الرسل ٢ : ٢٢ » .

❊

واذا كان المفترض أن يحب المسيح أصدقاءه وأعداءه على السواء ، وفق تعاليمه التى قال فيها : « أحبوا أعداءكم » ، فقد كان هنـاك بعضا من تابعيه ، ممن ميزه الانجيل بحب خاص ، يستوى فى ذلك الرجـال والنسـاء . فقد « **كان يسوع يحب موثا وأختها (مريم) ولعازر** ــ يوحنا ١١ : ٥ » .

وفى العشاء الأخير ، « كان متكئا فى حضن يسـوع واحـد من تلاميذه ، **كان يسوع يحبه** يوحنا ١٣ : ٢٣ » .

❊

على أن هناك موقفين للمسيح مع النساء لهما طابع شاذ ....

١ ــ مع المراة الكنعانية :

« خرج يسـوع من هناك وانصرف الى نواحى صور وصيداء . واذا امرأة كنعانية خارجة من تلك التخوم ، صرخت اليه قائلة : ارحمنى يا سيد يابن داود . ابنتى مجنونة .

فلم يجبها بكلمـة .

فتقدم تلاميذه وطلبوا اليـه قائلين : اصرفها لأنها تصيح وراءنا .

فاجاب وقال : لم أرسل الا الى خراف بيت اسرائيل الضالة .

فاتت وسجدت له قائلة : يا سيد ، أعنى !

فاجاب وقال : ليس حسنا أن يؤخذ خبز البنين ويطرح للكلاب .

فقالت : نعم ، يا سيد • والكلاب أيضا تأكل من الفتات الذى يسقط من مائدة أربابها •

حينئذ أجاب يسوع وقال لها : يا امرأة ، عظيم ايمانك • ليكن لك كما تريدين • فشفيت ابنتها من تلك الساعة — متى ١٥ : ٢١ — ٢٨ » •

من الواضح أن المسيح لم يكن يريد الاستجابة لتلك المرأة البائسة الملهوفة ، والتى كانت تكتوى بنيران الحسرة والألم على فلذة كبدها المجنونة ، اذ أنه « لم يجبها بكلمة » •

ولما أزعجت التلاميذ بصراخها ، طلبوا منه أن يصرفها ، فعلمهم أنه لا شأن له بغير بنى اسرائيل ، فهو لم يرسل الا اليهم ، ورحمته قاصرة عليهم •

ولما كانت المرأة مطحونة تحت ضغط الحاجة الملحة ، فقد كانت مستعدة أن تفعل أى شى بحكم غريزة الأمومة ، فأذلت نفسها حتى النهاية ، حيث « سجدت له » تستصرخه العون !

لكن رد المسيح فاجأها ، اذ جعلها من زمرة الكلاب • ومن ثم كل من ليس اسرائيلى ، فهو من الكلاب •••

فراقت المسكينة آخر نقطة من ماء الكرامة الانسانية ، وأقرت بأنها من الكلاب المحتاجة لفتات مائدة أسيادها !

وهنا ، وهنا فقط ، استجاب لها المسيح ، فشفيت الابنة بقوة ايمان الأم !

*

٢ — مع امه :

« كان عرس فى قانا الجليل ، وكانت أم يسوع هناك • ودعى أيضا يسوع وتلاميذه الى العرس • ولما فرغت الخمر ، قالت أم يسوع له : ليس لهم خمر •

فقال لها يسوع : ما لى ولك يا امرأة ! ـ يوحنا ٢ : ١ ـ ٤ »

ان كل اسرائيلى يعلم الوصية التى تتصدر الوصايا العشر التى تلقاها موسى ، والتى تقول : « أكرم أباك وأمك لكى تطول أيامك على الأرض ـ خروج ٢٠ : ١٢ » .

وفى صراعه مع الكتبة والفريسيين حول اختراعهم لتقاليد أبطلوا بها وصايا الله ، طمعا فى كسب مادى رخيص ، قال لهم : « لماذا تتعدون وصية الله بسبب تقليدكم ؟! **فان الله أوصى قائلا : أكرم أباك وأمك . ومن يشتم أبا أو أما فليمت موتا !** وأما أنتم فتقولون : من قال لأبيه أو أمه قربان هو الذى تنتفع به منى . فلا يكرم أباه أو أمه .

فقد أبطلتم وصية الله بسبب تقليدكم . يا مراؤون ، حسنا تنبأ عنكم النبى أشعياء قائلا : باطلا يعبدوننى وهم يعلمون تعاليم هى وصايا الناس ـ متى ١٥ : ٣ ـ ٩ » .

هل يعقل ، بعد كل هذا ، أن يكون هذا هو موقف المسيح من أمه ؟!

*

كذلك ، « فيما هو يكلم الجموع ، اذا **أمه واخوته** قد وقفوا خارجا طالبين أن يكلموه . فقال له واحد : هوذا **أمك واخوتك** واقفون خارجا طالبين أن يكلموك .

فأجاب وقال للقائل له : من هى أمى ، ومن هم اخوتى ؟!

ثم مد يده نحو تلاميذه وقال : ها أمى واخوتى ـ متى ١٢ : ٤٦ ـ ٤٩ » وأما حسب رواية لوقا ، فانه « **أجاب وقال لهم : امى واخوتى هم الذين يسمعون كلمة الله ويعملون بها** ـ ٨ : ٢١ » .

ومرة اخرى ، نبرىء المسيح عن مثل هذه المواقف ...

* *

● تعاليم المسيح حول المرأة :

جاءت أغلب هذه التعاليم فيما ذكره متى فى موعظة الجبل ، اذ يقول على لسان المسيح : قد سمعتم أنه قيل للقدماء : لا تزن • وأما أنا فأقول لكم : **ان كل من ينظر الى امرأة ليشتهيها فقد زنى بها فى قلبه** فان كانت عينك اليمنى تعثرك ، فاقلعها وألقها عنك • لأنه خير لك أن يهلك أحد أعضائك ، ولا يلقى جسدك كله فى جهنم ••

وقيل : من طلق امرأته فليعطها كتاب طلاق • وأما انا فأقول لكم : ان من طلق امرأته الا لعلة الزنا يجعلها تزنى • **ومن يتزوج** مطلقة فانه يزنى — متى ٥ : ٢٧ — ٣٢ » •

لقد أثبت الواقع استحالة الاستغناء عن الطلاق ، بدليل أن الدول المسيحية سنت قوانين تبيح الطلاق ، فهل من مصلحة المرأة المطلقة أن تتزوج مطلقا ؟!

هذا ، ولما كانت المرأة تعنى ، بالدرجة الأولى ، تكوين الأسرة ، ومن ثم بناء المجتمع الانسانى ، كان من اللازم اعطاء لمحة عن الأسرة فى المسيحية •

❋

● تعاليم المسيح والأسرة :

يقول **ويلز** (١) : « على الرغم من المألوف لدى علماء الأخلاق اليوم من أن تعاليمه (المسيح) قد عززت الحياة السعيدة للأسرة ، **فانه يصعب التوفيق بين وجهة النظر هذه والنصوص التى تشجع الناس على تحطيم أسرهم لأسباب دينية** : (ان كان أحد يأتى الى ولا يبغض أباه وأمه وامرأته وأولاده واخوته وأخواته حتى نفسه أيضا ، فلا يقدر أن يكون لى تلميذا — لوقا ١٤ : ٢٦) •

---

(١) G We ls, The Jesus of The Early Christians, p, 57

ويصدمنا بنفس القدر انتقاص الانجيل من شان الحياة الزوجية :
(قال له تلاميذه : ان كان هكـذا أمر الرجل مع المرأة فلا يوافق أن يتزوج • فقال لهم : ليس الجميع يقبلون هذا الكلام بل الذين أعطى لهم• لأنه يوجـد خصيان ولدوا هكذا من بطون أمهاتهم ويوجد خصيان خصاهم الناس • ويوجد خصـيان خصـوا أنفسـهم لأجـل ملكوت السموات • ومن استطاع أن يقبل فليقبل ـ متى ١٩ : ١٠ ـ ١٢) » •

**

obeikandl.com

المرأة فى مسيحية بولس

● **مواقف بولس مع المرأة :**

كان يوصى النســـاء اللاتى خدمنه ، ويدعـــو الجميع ، رجـــالا ونساء ، أن يسلموا بعضهم على بعض بقبلات مقدسة . فقد كانت تلك خواتيم رســـائله : « أوصى اليكم بأختنا فيبى التى هى خادمة الكنيسة التى فى كنخريا كى تقبلوها فى الرب كما يحق للقديسين وتقدموا لهـــا فى أى شىء احتاجتـــــه منكم . لأنها صارت مساعدة لكثيرين ولى أنا ايضا .. سلموا على مريم التى تعبت لأجلنا كثيرا

سلموا على تريفينا وتريفوسا التاعبتين فى الرب .

سلموا على برسيس المحبوبة التى تعبت كثيرا فى الرب ..

سلموا بعضكم على بعض بقبلة مقدسة ـ رومية ١٦ : ١ــ١٦ ».

« سلموا بعضكم على بعض بقبلة مقدســـة ـ (١) كورنثـــوس ١٦ : ٢٠ ، (٢) كورنثوس ١٣ : ١٢ » .

❊

تعاليم بولس حـول المرأة

● **المرأة مسئولة عن الخطيئة البشرية الأولى :**

اعتنق بولس فكرة مسئولية المرأة عن الخطيئـــة البشرية الأولى ، فهى التى أغويت ، وليس آدم ، وهى التى تعـــدت حـــد الله فوقعت فى الخطيئة وصارت معتدية . فهو يقول : « لست آذن للمرأة ان تعلم ، ولا تتسلط على الرجل ، بل تكون فى سكوت .

لأن آدم جبل أولا ، ثم حواء . وآدم لم يغو ، لكن المرأة اغويت فحصلت فى التعدى ـ (١) تيموثاوس ٢ : ١٢ ــ ١٤ » .

● **المراة دون الرجل :**

« أريد أن تعلموا أن : رأس كل رجل هو المسيح .

واما رأس المراة فهو الرجل .

ورأس المسيح هو الله ..

كل امرأة تصلى أو تتنبأ ورأسها غير مغطى فتشين رأسها لأنها والمحلوقة شيء واحد بعينه . **اذ المراة ان كانت لا تتغطى فليقص شعرها .**

الرجل ليس من المرأة ، **بل المراة من الرجل ..**

الرجل لم يخلق من أجل المرأة ، **بل المراة من أجل الرجل** ـ (١) كورنثوس ١١ : ٣ ـ ٩ » .

« **لتصمت نساؤكم فى الكنائس ، لأنه ليس مأذونا لهن أن يتكلمن بل يخضعن** ، كما يقول الناموس أيضا .

ولكن ان كن يردن أن يتعلمن شيئا ، **فليسألن رجالهن فى البيت ، لأنه قبيح بالنساء أن تتكلم فى كنيسة** ـ (١) كورنثوس ١٤ : ٣٤ـ٣٥» .

« **أيها النساء : اخضعن لرجالكن ، كما للرب . لأن الرجل هو رأس المراة** ، كما أن المسيح أيضا رأس الكنيسة ..

كما تخضع الكنيسة للمسيح ، كذلك النساء لرجالهن فى كل شيء ـ أفسس ٥ : ٢٣ ـ ٢٤ » .

*

● **تعاليم بولس والأسرة :**

دعا بولس الجميع ـ رجالا ونساء ، الى عدم الزواج ، ولا يلجأ اليه الا عند الخوف من الوقوع فى الزنا ، فقال :

« **حسن للرجل أن لا يمس امراة** . ولكن لسبب الزنا ليكن لكل واحد امرأته ، وليكن لكل واحدة رجلها ..

اريد أن يكون جميع الناس كما أنا (بلا زواج) ..

اقول لغير المتزوجين وللأرامل انه حسن لهم اذا لبثوا كما أنا . ولكن ان لم يضبطوا أنفسهم فليتزوجوا . لأن التزوج أصلح من التحرق ....

أنت منفصل عن امرأة فلا تطلب امرأة ..

المتزوج فيهتم فى ما للعالم كى يرضى امرأته ـ (١) كورنثوس ٧ : ١ ـ ٣٣ » .

ان تعاليما كهذه لكفيلة بهدم نظام الأسرة فى العالم كله ونتيجته الحتمية هى خراب العالم ...

انها تعاليم تخالف وصية الله الذى خلق الانسان ليعمر الكون ولذلك أمره أمرا بالزواج والتكاثر . لقد كانت هذه تعاليم الله منذ بدأ تكوين **أول أسرة** على وجه الأرض : « خلق الله الانسان على صورته .. **ذكرا وانثى** خلقهم وباركهم الله وقال لهم :

اثمروا ، واكثروا ، واملأوا الأرض ـ تكوين ١ : ٢٧ ـ ٢٨ » .

وبعد الطوفان كان أمر الله لنوح وبنيه بالتزاوج والتكاثر : « بارك الله نوحا وبنيه وقال لهم :

اثمروا ، واكثروا ، واملأوا الأرض ـ تكوين ٩ : ١ » .

هذا ـ ولقد أوصى الناموس وأسفار الأنبياء باكرام الأرملة ، وجعلوها صنوا لليتيم الذى فقد أبه ، فقالوا :

« **لا تسترهن ثوب الأرملة** .. اذا حصدت حصيدك فى حقلك ونسيت حزمه فى الحقل فلا ترجع لتأخذها . للغريب واليتيم **والأرملة** ، تكون ، لكى يباركك الرب الهك فى كل عمل يديك .

اذا خبطت زيتونك فلا تراجع الأغصان وراءك . للغريب واليتيم **والأرملة** يكون .

اذا قطعت كرمك فلا تعـــلله وراءك • للغريب واليتيم **والأرملة يكون •• انا أوصيك ان تعمل هذا الأمر** ــ تثنية ٢٤ : ١٧ ــ ٢٢ » •

« أبو اليتامى ، **وقاضى الأرامل** ، الله ــ مزمور ٦٨ : ٥ » •

« تعلموا فعل الخير •• اقضـــوا لليتيم ، **حاموا عن الأرملة** ــ أشعياء ١ : ١٧ » •

ان ذلك كله معروف ، وصنيع ممتاز تعارفت عليه الشعوب ، سواء أوتيت كتابا من السماء ، أم عاشت على الفطرة • لكن بولس يفرق بين الأرملة العجوز التى تعدت الستين عاما والأرملة الشابة التى قد تتزوج ثانية ، على الرغم من أن مطالب الحياة لهذه الأخيرة أكثر من مطالب الأرملة العجوز • فهو يقول :

« **لا تكتب امرأة فى سجل الأرامل ، الا التى بلغت ستين سنة** ، ولم تتزوج غير مرة واحدة •• أما الأرامل الشابات فلا تقبلهن ، فانهن اذا أغناهن الترف عن المسيح ، رغبن فى الزواج ، واستوجبن القضاء ، لأنهن نقضن عهدهن الأول ــ (١) تيموثاوس ٥ : ٩ ــ ١٢ » •

وتقول **ترجمة العهد الجديد للكاثوليك** ، تعليقا على رأيه فى الأرامل الشابات :

« **دعا بولس الأرامل فى (١) كورنثوس ٧ : ٨ ــ ٤٠ ، الى الامتناع عن الزواج ، ولكن الخبرة علمته بأنه الأفضـــل للأرامـــل الشـــابات أن يتزوجن** » •

وهكذا سارت الأمور فى التحليل والتحريم عبر القرون •••

ان تحريم ما أحله الله ، والتضييق على الناس ، قد أدى الى الاندفاع فى طريق الهلاك والتردى فى الخبائث •

ولنقرأ اعترافات بولس نفسه ، فهى غنية عن كل تعليق :

« لست أفعل ما أريده ، **بل ما ابغضه فاياه أفعل .. انى اعلم ان ليس ساكن فى ، اى فى جسدى ، شىء صالح ..** لأنى لست أفعل الصالح الذى أريده ، **بل الشر الذى لست اريده فاياه افعل ..**

لكنى أرى ناموسا آخر فى أعضائى يحارب ناموس ذهنى **ويسبينى الى ناموس الخطية الكائن فى اعضائى . ويحى أنا الانسان الشقى ! من ينقذنى من جسد هذا الموت ؟!** رومية ٧ : ١٥ ــ ٢٤ » .

« أبناء المعصية الذين **نحن أيضا جميعا تصرفنا بينهم فى شهوات جسدنا عاملين مشيئات الجسد والأفكار ،** وكنا بالطبيعة أبناء الغضب كالباقين أيضا ــ أفسس ٢ : ١ ــ ٢ » .

* *

المرأة فى ظل الكنيسة

لم تقتصر سلطة التشريع فى المسيحية على المسيح ، فقد امتدت الى بولس ، ثم الى آباء الكنيسة • فهناك ما ذكره متى عن التفويض الذى أعطاه المسيح لبطرس قائلا : « أعطيك مفاتيح ملكوت السموات • فكل ما تربطه على الأرض يكون مربوطا فى السموات • وكل ما تحله على الأرض يكون محلولا فى السموات ــ ١٦ : ١٩ » •

ثم امتد هذا التفويض الى التلاميذ ، كما ذكر متى فى قول المسيح : « الحق أقول لكم : كل ما تربطونه على الأرض يكون مربوطا فى السماء ، وكل ما تحلونه على الأرض يكون محلولا فى السماء ــ ١٨ : ١٨ » •

وبعد رحيل المسيح وقيام التلاميذ ومن دخل فى زمرتهم بدعوة غير اليهود الى الايمان به ، تمسك اليهود الذين آمنوا به بضرورة ختان أولئك المؤمنين الجدد ، وذلك انطلاقا مما جاء فى الناموس الذى هو أساس الايمان للجميع ، وأسوة بما حدث للمسيح طفلا عندما ختنته أمه فى اليوم الثامن لميلاده حسب شريعة موسى (لوقا ٢ : ٢١) • فالختان عهد الله الأبدى لابراهيم ولنسله من بعده • فقد « قال الله لابراهيم : وأما أنت فتحفظ عهدى • أنت ونسلك من بعدك فى أجيالهم • هذا هو عهدى الذى تحفظونه : يختن منكم كل ذكر ، فتختنون فى لحم غرلتكم • فيكون علامة عهد بينى وبينكم •• فى لحمكم عهدا أبديا ■ أما الذكر الأغلف الذى لا يختن فى لحم غرلته فتقطع تلك النفس من شعبها • انه قد نكث عهدى ــ تكوين ١٧ : ٩ ــ ١٤ » •

وبهذا قرر الكتاب المقدس أن الختان معيار أساسى للتمييز بين أبناء ابراهيم فى العقيدة ، أهل الختان ، وبين غيرهم من الذين نكثوا عهد الله ، أهل الغرلة •

لقد أحدثت مشكلة الختان التى أثارها اليهود المؤمنون فى أنطاكية بلبلة بين المسيحيين الأوائل ، فرؤى ضرورة الرجوع الى الرسل والمشايخ فى أورشليم وعقد بذلك أول مجمع مسيحى عام ٥٠ ميلادية **انتهى فيه آباء الكنيسة الى نسخ الختان** . فأرسلوا وفدا الى أنطاكية يقول : « قد رأى الروح القدس ، ونحن ، أن لا نضع عليكم ثقلا أكثر من غير هذه الأشياء الواجبة . أن تمتنعوا عما ذبح للأصنام ومن الدم والمخنوق والزنا ، التى ان حفظتم أنفسكم منها فنعما تفعلون ــ أعمال الرسل ١٥ : ٢٨ ــ ٢٩ » .

فالعبارة التى تقول : « **قد رأى الروح القدس ، ونحن** » تبين بوضوح أن هناك ما يراه الروح القدس ، وهناك ما يراه آباء الكنيسة ، وقد اتفق الرأيان ــ هذه المرة ــ على نسخ الختان .

أما الخلاف بين الروح القدس وآباء الكنيسة فيسجله تاريخ المجامع المسيحية التى عقدت عبر القرون ، وادعى كل فريق أن الروح القدس كان معه ، ثم لعن الفريق الآخر وطرده من رحمة الله . وكانت هذه الحقيقة هى ما استشهد به **مارتن لوثر** فى حواره فى مدينة ليبزج ، بألمانيا ، عام ١٥١٩ ، حيث قال لخصمه ، رجل البابا : « ما رأيك فى موقف بولس الذى وبخ بطرس علانية ؟ هل كان بطرس معصوما من الخطأ ؟ ..

وما رأيك فى المجامع : فقد حكم الواحد على الآخر وحرمه ، فمن هو الحارم الحقيقى ، ومن هو المحروم الحقيقى »(١) ؟!

❋

آباء الكنيسة ، اذن ، هم الذين شكلوا المسيحية عبر القرون ، وبموجب ما تمتعوا به من نفوذ وسيطرة على المسيحيين ، أفرادا وشعوبا ، كانت سلوكيات الاغلبية الساحقة من أولئكم التابعين .

❋ ❋

---

(١) مارتن لوثر ــ ص ٩٢

لكى نستبين حقيقة وضــع المرأة فى ظل الكنيســة ، يكفينــا أن نعرض بعضا مما جاء فى كتاب : **انجيل المرأة(٢)** ، الذى يعتبر دراســة وثائقية مدعمة بالأســانيد والشواهد والنصوص عن هذا الموضــوع الحيوى والخطير ؛ قامت بها **كارن ارمسترونج التى انتظمت فى ســلك** الرهبنــة عــدة ســنوات ، ثم التحقت بالدراســات العليــا بجامعــة أوكســفورد .

● **لمــاذا سمى الكتاب « انجيل المرأة » :**

تطالعنا الصفحة الأولى من هــذا الكتاب ، والتى تحمل عنــوانه الرئيسى ، بعنــوان آخر فرعى يعبر عن مكنــون الكتــاب بقــوله : **ابتداع المسيحية لحرب الجنس فى الغرب .**

بعد ذلك تخبرنا الكاتبة ، فى مقدمة الكتــاب عن سبب تســميته هكذا ، فتقول : « لقد أسميت هذا الكتاب **(انجيل المراة)** ، **لأنه يحكى** قصة الحياة التى عاشتها النساء من خلال انجيل يسوع المسيح . **ان** كلمة (انجيل) تعنى ، طبعا ، أخبارا سارة ، ولكن على الرغم من أن المسيحية فى فجر تاريخها قــد قدمت للمرأة رســالة ايجابية ، الا أنه يجب القول أنه منذ القرن الثانى ، **لم تكن المسيحية أخبارا سارة للنساء على الاطلاق . فلقد كانت مدمرة لهن الى أقصى حد** ، على الرغم من وجود عناصر فى أنماط التفكير والمشــاعر المســيحية التى كان يمكن استخدامها بأفضل مما كان »(٢) .

(١) K. Armstrong : THE GOSPEL ACCORDING TO WOMAN.

(٢) المرجــع الســابق ــ المقدمة . وأرجو التنبيــه الى أن النص المقتبس من هذا الكتاب سوف ينتهى بذكر رقم صفحته مباشرة ، دون الحاجة الى استخدام الهامش مرة أخرى .

● **الجنس هو المشكلة :**

لقد كان هذا هو عنوان الفصل الأول الذى استفتحت به **كارن ارمسترونج** كتابها ، قائلة فيه :

« لقد كان الجنس هو مشكلة النساء الرئيسية فى العالم الغربى .. ففى ثقافتنا ، والحق يقال ، نجد أن الشعور بالاثم من الجنس ، والكبت الجنسى ، قد وضعا النساء فى موضع لا يطاق . لقد نظرت جميع الثقافات الى النساء على أنهن مخلوقات أدنى منزلة : فهن من ممتلكات الرجال ، وليست لهن حقوق استقلالية ، واعتبرن أضعف من الرجال ذهنيا وروحيا .. الا أنه فى الغرب ، كانت لدى النساء متكلة صعبة جعلت الظلم المعتاد شاقا بصورة استثنائية .

انها مشكلة لا يشاركهن فيها ، على سبيل المثال ، النساء اليهوديات أو المسلمات . فالعالم المسيحى فى أوروبا وأمريكا تخللته كراهية الجنس والخوف منه ، ونظرا لان الرجال قد لقنوا اعتبار الجنس شرا ، فانهم خافوا من النساء وكرهوهن ، هؤلاء اللاتى أوقعن بهن فى تلك الأمور الجنسية الخطرة . لقد شكلت المسيحية المجتمع الغربى ، وكانت هى الوحيدة بين الديانات الكبرى التى كرهت الجنس وخافت منه . وبناء على ذلك كانت الكراهية للنساء فى الغرب فقط ، باعتبارهن مخلوقات جنسية ، بدلا من مجرد السيادة عليهن لأنهن مملوكات أدنى ..

ان **القرآن** يعلم المسلم ، أنه قبل مباشرة الجنس ، فعليه أن يشكر الله من أجل هذه النعمة الكبيرة . وهو يسمح للرجال بأن يكون للواحد منهم حتى أربع زوجات ، لكن عليه أن يحترم كل امرأة ويدللها . ولقد كان (ما علمه) محمد واضحا فى أنه اذا عجز الرجل عن العدل بين النساء جنسيا وعاطفيا ، فيجب عليه الاكتفاء بزوجة واحدة . ومن المؤكد أن محمدا لم يعتقد أن النساء كن مثيرات للاشمئزاز جنسيا . فعندما

كانت تنزل بزوجته دورتها الشهرية ، كان يتكىء فى حجرها ، ويأخذ حصيرة صلاته من يدها ، قائلا : ان طمثك ليس فى يدك ، وكان يشرب من نفس الكوب ، قائلا : ان طمثك ليس فى شفتيك ...

وفى حقيقة الأمر ، نجد أن النساء فى فجر الاسلام كن يتمتعن بقدر كبير من الحرية .. ولقد مارس الاسلام نظام الحريم بعد اتصاله بالمسيحية البيزنطية التى كانت تعامل نساءها بهذا النظام .. على أنه بمجرد ذكر الاسلام ، يتبادر الى الذهن ذلك العرف البدائى الخاص بختان البنات[1] . ومع ذلك ، فيجب ألا نكون شديدى التعصب فى بريطانيا حول هذا الموضوع ، لأن الأطباء البريطانيين مارسوا هذا العمل فى القرن التاسع عشر على الفتيات لمنع الاستمتاع الجنسى الزائد .. ولقد كان التبرير لهذه العملية فى انجلترا هو تلك الاسطورة التى سادت المجتمع الفكتورى وكانت تقول ان الجنس شر . أما الاسلام فانه لا يقر هذا الدافع » (ص ١ ، ٢) .

*

● **جذور المشكلة الجنسية :**

« منذ القرن الثانى فصاعدا ، انتشرت هرطقات فى المسيحية تقول ان الجنس والجسد شر ، وباستمرارية تكرار ذلك فان الناس الذين اعتبروا أنفسهم مسيحيين فى كلا العالمين الكاثوليكى ثم البروتستانتى ، قد شجبوا العلاقات الجنسية وحظروها . ولقد كان اشمئزاز المسيحية من الجنس عميق الجذور ، واسع الانتشار ، لدرجة أن الهرطقات كانت تحاول دائما ايجاد حلول أفضل للمشكلة الجنسية من تلك التى تقدمها المسيحية التقليدية . وكانت **الكاثارية**

---

(١) الختان فى الاسلام سنه وليس فرضا . وبالنسبة لختان البنات فهناك تعاليم النبى التى تقضى بالتخفيف وعدم الجور فى هذه العملية .

احـدى هذه الهرطقات التى أثبتت أنها من القـوة بحيث لم تجد معها أسـاليب المقاومة الهادئة . اذ أنها انتشرت بسرعة فى جنوب فرنسـا ، مما اضطر الكنيسة آخر الأمر الى شن حرب صليبية ضدها ، وقتـل أتباعها بالسيف . ولقد كانت **الأنكراتية** ، التى ظهرت فى القرن الثانى ، هى أول الهرطقات المسيحية ضـد الجنس . وقـد أنتجت عددا من الكتب مثل : **أعمال توما ، وأعمال بولس** وكان كلاهما يعلم أن الجنس مخز ومحط ، وأن البتولية فقط هى التى تدخلنا ملكوت السموات ..

وفى واقع الأمر ، نجد أن تاريخ الغرب البروتستانتى ، قـد تميز بتلك التناوبات المتطرفه الخطرة ، ما بين فجور جنسى وكبت جنسى . وأن تلك التناوبات كانت تتطابق دائما مع هبوط الحمية الجنسـية وصـعودها . **أنها ظاهرة يختص بها الغرب وحده** ، والتى اسـتطاع مؤرخو الجنس أن يعزوها الى المسـيحيه . فلقد خلقت المسيحية مناخا يستحيل فيـه اعتبار الجنس مجرد نشـاط . ان عليك كمسيحى اما أن تحبه بعنف أو تكرهـه بعنف ، فهـو اما نشـاط انسـانى مترع بالخطيئة وشـهوة جنسية مدمرة ، واما أنه ممارسـة جنسـية **يجب** أن توضـع فيها المتعة الجنسـية فى مرتبة تاليـة لانجاب الذرية . ان حظر منـع الحمل الذى لا تزال تدافع عنـه الكنيسـة الكاثوليكية ، انما ينبع من ذلك الرعب من لمتعة الجنسـية ، والتى ترجع فكرته فى قدمها الى أوغسطين .

لقـد قادت هـذه الفكرة الكاثوليك ، فى بعض الأحيان ، الى تطرف يدعو الى السخرية ، مثلما حـدث لمفتى القرن السـابع عشر الكبير **سوارز** ، حين ذهب يتأمل بطريقة ملتوية حـالة (افتراضـية) **لرجل وقع فى ورطة ، اذ بينما كان يمارس الجنس مع مومس ، فاذا به فجأة يداهمه الندم على فعلته هذه : فهل ينسحب من العملية الجنسـية قبل اتمامها ، أم انه ستمر فيها ؟!**

انـه اذا انسحب ، فمن المحتمـل ان يصـيـر مذنبـا بارتكـاب خطيئـة اكبر من مجرد ارتكـاب الزنـا ، الا وهى منـع الحمـل » ! (ص ٤٢ ــ ٤٦) .

* *

فكر آباء الكنيسة وتعاليمهم فى الجنس والمرأة والزواج

● **الجســد شر :**

كان القديس **امبروز** ، أسقف ميلانو فى القرن الرابع ، يعظ فى أمر الروح كنقيض للجســد الذى هو شر . « ولقد كانت تلك الفكرة مصدر الهام لتلميذه الكبير ، القديس **اوغسطين** ، الذى أصبح فيما بعد أسقفا لمدينة هبو فى شمال افريقيا ، وربما كان أكثر اللاهوتيين تأثيرا فى التاريخ المسيحى برمته بعد القديس بولس . فلقد كتب امبروز يقول : (فكر فى الروح بعد أن تكون قد تحررت من الجسد ، ونبذت الانغماس فى الشهوات ومتع اللذات الجسدية ، وتخلصت من اهتمامهـا بهـذه الحياة الدنيوية) .

فبالنسبة لأمبروز كان الجسد مجرد خرقة باليـة ملطخة بالأقذار ، تطرح جانبا عندما يتحد الانســان بالله الروحانى بالكلية . لقـد كان أوغسطين يردد هــذه الفكرة باستمرار ، فكم صلى قائلا : (آه ! خذ منى هــذا الجسد ، وعندئذ أبارك الرب) !

وفى سير حياة كل القديسين المسيحيين الكبار ، نجد مثـل هــذا الارتياب فى الجـد . لقد اعتاد **فرانسيس الأسيزى أن** ينادى جسده قائلا : (أخى الحمار) ! ، كمـا لو كان الجســد مجرد بهيمة غبيـة شهوانية ، تستخدم لحمل الأثقال **وكثيرا ما كان القديسيون يتعهدون اجسادهم باعتداء يومى من اجل اماتتها بالتعذيب الذاتى بطرق تقشعر من هولها الأبدان »** (ص ٢١) .

* *

● **والجنس شر :**

« فى القرن الثالث عشر الميلادى ، قال الفيلسوف اللاهوتى القديس **توما الاكوينى** : الذى ساد الفكر الكاثوليكى حتى عهد قريب ، أن الجنس كان دائما شر .. وعلى أى حال ، فان هذا الموقف السلبى لم يكن محصورا فى الكاثوليك ، فلقد كان **لوثر وكالفين** متأثرين الى أقصى حد بآراء أوغسطين ، وحملا مواقفه السلبية تجاه الجنس والزواج الى قلب حركة الاصلاح الدينى مباشرة . لقد كره لوثر الجنس بشكل خاص ، على الرغم من أنه قد تزوج ومحا البتوليه فى حركته المسيحية . لقد كان يرى أن كل ما يستطيع الزواج عمله هو أن يقدم علاجا متواضعا لشهوة الانسان التى لا يمكن السيطرة عليها . فكم صرخ قائلا : (كم هو شىء مرعب وأحمق تلك الخطيئة ! ان الشهوة هى الشىء الوحيد الذى لا يمكن شفاؤه بأى دواء ، ولو كان حتى بالزواج الذى رسم لنا خصيصا من أجل هذه النقيصة التى تكمن فى طبيعتنا » (ص ٢٥) .

*

« انه لمن سوء الحظ أن أغلب آباء الكنيسة الغربيين ذوى التأثير القوى ، **كانوا مصابين بالعصاب** ، ورجالا عاطفيين بدرجة كبيرة . لقد كان ترتليان وجيروم وأوغسطين ، جميعهم من الذين تحولوا الى المسيحية خلال نوع عنيف ومتفجر من المعاناة والتجارب الدينية . فهم أناس سماهم **وليام جيمس** ، فى مؤلفه : **تنوع التجارب الدينية** ، بأنهم (ولدوا مرتين) . فهم (أنفس مريضة) لأن تحولهم كان مسبوقا ، فى أحوال كثيرة ، بصراع رهيب مع أنفسهم ، واطلالة عابسة على الحياة . أما النفس التى ولدت (مرة واحدة) فهى خلافا لذلك ، لم تتحول الى المسيحية خلال تجربة صدمية ، لكنها كانت تقترب من الدين بطريقة تخلو من الاضطراب ، وتتقدم فى حياتها الدينية بهدوء ومنطقية ، دون حاجة الى اللجوء الى تجارب سيكولوجية دخيلة .

ويلاحظ **ن . وليامز** ، فى كتابه :**فكرة السقوط والخطيئة الأصلية** ، أن هؤلاء النـاس الذين (ولدوا مرتين) كانوا يميلون لتبنى عقـائد لاهوتية حرفيـة متزمتة ، تماما مثل ما فعل آباء الكنيسـة الغربيين العاطفيين . ان هؤلاء الناس كانوا عاجزين عن الوصول الى اتفاق سلمى مع حياتهم الجنسية قبل تحولهم ، كما رأينا فى حالة القديس جيروم . لقد أدرك أوغسطين[1] تحـوله الى المسـيحية فى لغـة صراع جنسى ، فكان يصلى قبل تحوله قائلا : (يارب ! امنحنى العفـة . لكن ليس بعد) ! ، فاهما ، بقدر ما كان يؤرقه ، أن المسيحية تعنى البتولية . فهـو يرى تحوله بالكلية ، كقرار اتخذه ضـد الجنس (الذى انغمس فيه سلفا) ففى لحظة التحول ، كان مقتنعا بأن المسيح قد خلصه تماما من شهوته الجنسية وحياته الأسرية .

---

(١) يقول الخورى يوحنا الحلو فىمقدمة ترجمته العربية لكتاب «اعترافات القديس أوغسطينوس » : « ولد أوغسطينوس فى تشرين الثانى (نوفمبر) سنة ٣٥٤ من أب وثنى وأم مسيحية ، وكان له زملاء فى الدراسة « جروه وراءهم فى طريق الشر والفساد فى سن مبكرة ، ولم يخالفهم رايا ، وابى أن يتخلف عنهم فى مداعبة الاثم والارتماء فى أحضانه . وعجز والداه عن تامين سفره الى قرطاجا لمتابعة دروسه ، فانفتح أمامه باب اللهو واسعا ، ولهـا بأقدس المحرمات ، وتعرف الى امراة ساكنها واستولدها طفـلا سـماه أديودات .. وطلب أوغسطينوس الحقيقة فى شهوات الجسد ، فاخفق ، بيد أنه لم يكفر بها ولا انقطع عنها .. واستهواه المـانيون فمال الى خزعبلاتهم .. ثم انتقل الى روما ومنهـا الى ميلانو سـنة ٣٨٤ .. وعلمت والدته بسفره فلحقت به وأخذت تلح عليه ليقطع علاقته الأثيمة بتلك التى ولدت له ابن الزنا المعروف . ولم يخيب أوغسطينوس هذه المرة رجاءها ، وابعـد أم ولده عنه الى افريقيا ، مستبقيا لديه ابنه أديودات . بيد أن هجر تلك المسكينة على هذا النحو لم يكن مشرفا له ولأمه ، اذ كان من الأفضل أن يتزوجها بموجب الشرع ، بيد أنهما ارتضيا ذلك الحل مسايرة لتقاليد المجتمـع الرومانى البالية . ولدى قدومـه الى ميلانو تعرف أوغسطينوس الى امبروسيوس اسقف المدينة واسـتمع الى مواعظة ، فأعجبته بلاغتها .. واقتنع بضرورة العماد ثم ما لبث أن عدل عنـه حتى نهاية السنة الدراسية .. ثم أعاد النظر فى حياته كلها واعتمد فكان اهتداؤه الى الكثلكة حدثا صاعقا فى ميلانو » . وقد مات سنة ٤٣٠ .

لقد كان آباء الكنيسة الغربيين ، الذين كانوا الأكثر تأثيرا بسبب ألمعيتهم الذهنية وشخصيتهم القوية ، كانوا جميعا من النمط الدينى الذى نزع بهم الى النظريات اللاهوتية المتزمتة التى تعادى الجنس • لم تأت تسميتهم آباء من فراغ ، فمنهم تولدت المسيحية الغربية • لقد أصابتهم بعمق عدوى جو التقشف والزهد الذى شاع فى العصور القديمة المتأخرة ، وكانت أمزجتهم العاطفية بجانب سوء فهمهم لنقاط دقيقة معينة فى الكلمات الاغريقية التى جاءت فى رسائل القديس بولس (مثل كلمة ساركس : الجسد) ، يعنى كل هذا أنه لم يكن بمقدورهم تزويد الكنيسة الجديدة بالمبادىء الجنسية السليمة •

لقد كان اللاهوتيون الاغريق ، من أصحاب الولادة (مرة واحدة) مثل سيريل السكندرى ، يكشفون عن تفسيرات أبعد كثيرا عن اثارة الرعب من معتقد الخطيئة الأصلية ، وكانوا أقل كثيرا فى معاداتهم للجنس • فبالنسبة لآباء الكنيسة الغربيين مثل أوغسطين ، أصبح الجنس والخطيئة متداخلين معا بطريقة لا انفصام لها ، وذلك لأسباب شخصية تتعلق بالزمان والمكان ، دون أن يكون لها أى مسوغ أو برهان من العهد الجديد • ولقد كان أوغسطين هو الذى صاغ معتقد الخطيئة الأصلية فى صورته النهائية ، وكانت نظريات أوغسطين اللاهوتية هى التى سادت الكنيسة خلال العصور المظلمة حتى حل محله الفيلسوف اللاهوتى توما الاكوينى » (ص ٣٠) •

*

« لقد سلم أوغسطين الى الغرب تراث الخوف من الخطيئة ، كقوة لا يمكن السيطرة عليها • فهناك فى لب كل تشكيل للعقيدة ، توجد المرأة حواء ، سبب كل هذه التعاسة ، وكل هذا الثقل من الذنب والشر ، وكل هذا الانغماس البشرى فى الخطيئة • لقد ارتبطت الخطيئة والجنس والمرأة معا فى ثالوث غير مقدس • فبالنسبة لذكر متبتل مثل

أوغسطين ، لا يمكن فصل هذه العناصر الثلاثة • وفى الغرب ، بقيت المرأة هى حواء الى الأبد ، هى اغراء الرجل الى قدره المشئوم • بل ان انجاب الأولاد الذى تعتبره ثقافات أخرى فخر المرأة الرئيسى وينبوع القدرات التى تمتلكها ، نجده فى المسيحية قد غلفه الشر باعتباره الوسيلة التى تنتقل بها الخطيئة » (ص ٣٢ ــ ٣٣) •

❊

ويقول القديس جيروم : « اذا امتنعنا عن الاتصال الجنسى ، فاننا نكرم زوجاتنا • أما اذا لم نمتنع : حسنا ! فما هو نقيض التكريم ! سوى الاهانة » ! (ص ٤٣) •

❊

« ان المسيحية قد خلقت أتعس جو جنسى فى أوروبا وأمريكا بدرجة قد تصيب بالدهشة كلا من يسوع والقديس بولس • ومن الواضح كيف كان لهذا تأثيره على النساء • فبالنسبة لأوغسطين الذى كان يناضل من أجل البتولية ، كانت النساء تعنى مجرد اغراء يريد أن يوقعه فى شرك ، بعيدا عن الأمان والاماتة المقدسة لشهوته الجنسية • أما كون العصاب الجنسى للمسيحية قد أثر بعمق فى وضع النساء ، فهذا ما يرى بوضوح من حقيقة أن النساء اللاتى التحقن بالجماعات الهرطيقية المعادية للجنس ، وصرن بتولات ، قد تمتعن بمكانة واحترام كان من المستحيل أن يحظين بهما فى ظل المسيحية التقليدية » (ص ٥١) •

❊

« لقد كانت المسيحية مشغولة طيلة مئات السنين بجعل النساء يخجلن من أمورهن الجنسية ، ولقد عرفت النساء جيدا ، كما قال أوغسطين ولوثر قبل عدة قرون ، أن تشريع الزواج كان مجرد دواء ضعيف المفعول لمعالجة شرور الجنس » (ص ٧٧) •

❊ ❊

● **والمراة القذار :**

« لقد كان ينظر الى جسد المراة باشمئزاز على نحو خاص ، كما كان مصدر ارباك لآباء الكنيسة ان يسوع ولد من امراة .

فكم ضغطوا بشدة ، فى موعظة تلو موعظة وفى رسالة تلو رسالة ، على أن مريم بقيت عذراء ، ليس فقط قبل ميلاد المسيح بل وبعده أيضا ..

لقد كتب **اودو الكلنى** ، فى القرن الثانى عشر : **« ان معانقة امراة تعنى معانقة كيس من الزبالة »** .

لقد كانت الأحشاء الخفية للمرأة ، والتى تتسم بالقذارة ، مع رحمها الذى لا يشبع ، موضع استقذار وفحش بشكل خاص . وكان الآباء راغبين فى التأكيد على أن يسوع لم يكن له الا أقل القليل من الاتصال بذلك الجسد البغيض » (ص ٢٣) .

*

« ولقد كتب اسقف فرنسى ، عاش فى القرن الثانى عشر ، أن كل النساء ، بلا استثناء ، مومسات ، وهن مثل حواء سبب كل الشرور فى العالم ..

وقال الراهب البنديكتى برنار دى موريكس ، دون مواربة ، فى اشعاره : انه لا توجد اية امراة طيبة على وجه الأرض .

وقال الراهب الانجليزى (اسكندر نكهام) ، انه نظرا لأن المرأة لا تشبع جنسيا ، فانها غالبا ما تصطاد بائسا حقيرا لينام معها فى فراشها ليشبع نهمها اذا كان زوجها غير موجود فى لحظة شبقها . ونتيجة لذلك ، كان على الأزواج أن يربوا أطفالا ليسوا من أصلابهم .

لقد ترسخت أسطورة عدم اشباع النساء جنسيا لدرجة أن روبرت بيرتون أشار اليها فى عام ١٦٢١ باعتبارها شكوى عالمية .

لقد انطبع فى وعى أوروبا الغربى ما أثاره جيروم وترتليان وأوغسطين وأتباعهم من كره للنساء وايقاع الرعب منهن فى النفوس » (ص ٧٠) .

*

● **اغتيـال شخصية المراة :**

لقد حرص آباء الكنيسة على التوكيد على أن المرأة مصدر الخطيئة والشر فى هذا العالم ، ومن ثم يجب قهرها الى أقصى حـد واستهلاكها نفسيا تحت وطأة الشعور بالخزى والعـار من طبيعتها وكيانها البشرى .

ولقد اغتنموا كل فرصة تتعلق بالمرأة لبث روح الاحباط فيها ، ولو كانت تتعلق بزى ترتديه .

فقد كتب **ترتليان** ، فى القرن الثالث ، رسالة تعالج زى المرأة ، صدرها الى : « أفضل المحبوبات أخواته فى الايمان ، ثم ما لبث أن انزلق فيها من المحبة والاحترام الى هجوم مذهل ، اذ يقول :

(اذا وجد ايمان على الأرض عظيم مثل ما تتوقع أن تنعم به فى السـماء ، فما كان لأى واحدة منكن ، أفضل أخواتى المحبوبات ، اللاتى منذ أن عرفت الواحدة منكن الرب ، وعلمت حقيقة منزلتها ، أنا تشتهى زيا كثير البهجة ، ولا أقول زيا ملفتا للنظر .

لقد كان حريا بها أن تخرج فى زى حقير ، وتسير مثل حواء ، ترثى لحالها ، نادمة على ما كان ، حتى يكون زيها الذى يتسم بالحزن ، مكفرا عما ورثته من حواء : العار ، واقصد بذلك الخطيئة الأولى ، ثم الخزى من الهلاك الأبدى للانسانية . (فلقد قال الرب للمرأة) : تكثيرا أكثر أتعاب حبلك . بالوجع تلدين أولادا . والى رجلك يكون اشتياقك ، وهو يسود عليك (تكوين ٣ : ٦) .

الستن تعلمن أن كل واحدة منكن هى حواء ؟!

ان قضاء الله على جنسكن بالعقوبة موجود فى هذا العصر ، وبالتالى فان الشعور بالاثم يجب أن يكون موجودا أيضا •

أنتن المدخل الذى يلجه الشيطان : فأنتن باكورة من ذاق الشجرة المحرمة ، وأنتن أول من تمرد على القانون الالهى ، وأنتن تلك المرأة التى أقنعته (بالأكل من الشجرة) ، اذ لم يكن لدى الشيطان القدر الكافى من الجسارة لكى يهاجم (آدم) •

لقد دمرتن بمثل هذه السهولة ، الرجل ، صورة الله •

وبسبب استحقاتكن للعقوبة ــ التى هى الموت ــ كان على ابن الله أن يموت أيضا) •

ان هذا بالضبط هو نفس التعقيد من الأفكار ، معبرا عنها بألفاظ أقل وضوحا ، مثلما نجده فى رسالة بولس الأولى الى تيموثاوس ، والتى تتحدث عن مظهر النساء ، وحواء ، والولادة •

وبالنظر لأول وهلة ، يبدو عجيبا أن هذا الهجوم الضخم ــ الذى يعتبر كل امرأة مسئولة مسئولية كاملة عن تدمير الرجل ، وعن صلب المسيح ــ يبدأ وينتهى بخصوص شىء من الواضح أنه غير مهم الى هذا الحد ، ألا وهو ملابس النساء •

ان ما يلهب هجوم ترتليان القاسى هو مجرد خوف غير منطقى ألبتة ، فبالمضى قدما فى رسالته نجد أنها تنصب كلها على الجنس » (ص ٥٤ ــ ٥٥) •

*

وبالنسبة لجيروم ، نجد « أن ما يفعله هو الافراط فى النظرة الجنسية للمرأة بسبب كبته الجنسى • فهو محبط بعنف ، لدرجة أنه يخبر النساء أنهن لا يشبعن جنسيا • لقد نسى هنا (فى رسالته) أنه يكتب الى فتاة صغيرة طيبة (تخدم فى الكنيسة) ، وقد طلبت منه

النصيحة (عن الحياة المسيحية) ، فحثها أن تقفل على نفسها بعيدا عن العالم ، اذ بمجرد أن تسير هنا وهناك ، فلسوف تلهبها شهوة الرجال .

لقد استغرق في الخيال الجامح لدرجة أنه قارنها في نهاية رسالته بامرأة مومس ، تماما كما بدأ ترتليان رسالته مخاطبا قارئاتها (أفضل محبوباتي) ومنهيها بأن كل واحدة منهن حواء .

المرأة ، اذن ، هي الد اعداء الرجل ، فهي المومس التي تغوي الرجل الى هلاكه الأبدي ، لأنها حواء صاحبة الغواية ابدا .

وكما أن الخطيئة الأصلية ترتبط بالجنس ، فهكذا المرأة تماما ، هي حواء لأنها مثيرة جنسيا » (ص ٦٠) .

* *

● **ونساء الأنبياء أيضا !**

« بين الحين والحين نرى عداوة للقوى الجنسية للنساء وخوفا منها . ان أوغسطين يرى الخطر أيضا في النساء الفضليات اللاتي ذكرهن العهد القديم . وأحيانا يصل الى استنتاجات تثير السخرية . ففي محاولاته التوفيق بين الحياة الجنسية للآباء ، نجده يقدم لنا ابراهيم واسحق بأن الواحد منهما كان يعاشر زوجته جنسيا ، بغية أداء الواجب واستجابة لأمر الله بتأسيس السلالة المختارة ، لكن ذلك كان مصحوبا بنفور شديد . لقد كانا يفضلان الامساك عن ممارسة الجنس .

ان ابراهيم ، الذي يبدو (من قراءاة سفر التكوين) أنه كان يتمتع بقوة جنسية هائلة ، لا بد وأن يقرأ كل هذا وهو منذهل تماما . .

ويستمر أوغسطين في استنتاجاته قائلا :ان اسحق كان أكثر حظا . فالكتاب المقدس يذكر أنه مارس الجنس مرة واحدة[1] ، وكان سعيد

---

(١) يقول سفر التكوين : « كان اسحق ابن اربعين سنة لما اتخذ لنفسه زوجة ، رفقة بنت بتوئيل الأرامي .. وصلى اسحق الى الرب =

الحظ تماما اذ أنجب توأمين ، هما عيسو ويعقوب ، فلم يكن بحاجة لأن يمارسه مرة ثانية .

وعندما جاء الحديث عن يعقوب ، الذى كان له اثنا عشر ابنا ، وجد أوغسطين نفسه فى ورطة . فهو يقرر أن يعقوب كان يسره كثيرا أن يسير على نهج اسحق ، فيمارس الجنس مرة واحدة فى حياته . لكن زوجتيه ليئة وراحيل استمرتا فى مضايقته بسبب شهوتهما العارمة ونهمهما الجنسى[1] ، مما اضطر هذا الأب المقدس الى التخلى عن مثله العليا ، مع أن ليئة وراحيل كانتا من النساء الطيبات . فبالنسبة لأوغسطين، كما كان الحال بالنسبة لسابقيه مثل جيروم ، كل النساء ، مهما كن فاضلات ، فجميعهن أعداء الرجال . ولقد كتب الى صديق له قائلا : **(ما الفرق ؟! فمهما كانت : زوجا او اما ، فهى لا تزال حواء المغرية الى الحد الذى يجعلنا نحترس من كل امراة) !**

فلا يوجد مكان لهذا العدو فى عالم الذكور ، وفى حقيقة الأمر

= لأجل امراته . **لأنها كانت عاقرا** ، فاستجاب له الرب فحبلت رفقة .. فلما كملت ايامها لتلد اذا فى بطنها توامان ـ ٢٥ : ٢٠ ـ ٢٤ » .

ان قول الكتاب المقدس أن رفقة كانت عاقرا ، يعنى أن اسحق جامعها كثيرا دون أن يحدث حمل . ومن هنا قيل انها كانت عاقرا . فالقول بانه جامعها مرة واحدة ،هو مخالفة لما فى الكتاب المقدس ، واجتراء على الحق يدعو الى السخرية حقا .

(١) يقول سفر التكوين : « مضى رأوبين فى أيام حصاد الحنطة فوجد لفاحا (نباتا مخدرا) فى الحقل وجاء به الى ليئة امه . فقالت راحيل لليئة (أختها) : أعطينى من لفاح ابنك . فقالت لها : اقليل انك أخذت رجلى ؛ فتاخذين لفاح ابنى أيضا . فقالت راحيل : **اذن يضطجع معك الليلة عوضا عن لفاح ابنك** . فلما اتى يعقوب من الحقل فى المساء ، خرجت ليئة للاقائه ، **وقالت : الى تجىء لأنى استأجرتك بلفاح ابنى** . فاضجع معها تلك الليلة ـ ٣٠ : ١٤ ـ ١٦ » ومن العجيب فى الأمر أن يذكر أوغسطين من نساء يعقوب : ليئة وراحيل ، ويترك زلفة وبلهة ، ومن هؤلاء النسوة الأربع جاء بنو اسرائيل .

لا يوجد مكان للمرأة على الاطلاق فى خطة الله (لخلاص العالم) » (ص ٦١) .

*

● **ثم كان التساؤل : لماذا خلق الله النساء ؟!**

« ان أوغسطين تبدو عليه الحيرة عندما يتساءل عما اذا كان هناك سبب ، على الاطلاق ، من أجله خلق الله النساء . فليس فى امكان المرأة أن تكون صديقا ورفيقا معينا للرجل ، ومع ذلك : **(اذا كان ما احتاجه آدم هو العشرة الطيبة ، فلقد كان من الافضل كثيرا ان يتم تدبير ذلك برجلين يعيشان معا كصديقين ، بدلا من رجل وامرأة)** .

لقد كانت العلة الوحيدة (حسب رأيه) التى من أجلها خلق (الله) النساء هو انجاب الأولاد . ولقد كان لوثر يشارك فى هذا الرأى ، فالوظيفة الوحيدة التى رآها للمرأة هى أن تنجب أولادا بقدر الامكان حتى يهتدى الكثير الى الانجيل . فلم يهتم لوثر بتأثير كثرة الولادة على النساء ، اذ كتب يقول : **(اذا تعبت النساء ، او حتى ماتت ، فكل ذلك لا يهم . دعهن يمتن فى عملية الولادة ، فلقد خلقن من أجل ذلك)** » ! (ص ٦١ — ٦٢) .

*

● **ثم كان تساؤل أحمق : هل المراة انسان ؟!**

« لقد شاركت البروتستانتية تماما فى كره النساء الذى ورثه الآباء الى الكنيسة الكاثوليكية . **فعندما ناقش اللوثريون فى وتنبرج مسالة ما اذا كانت النساء حقيقة من بنى الانسان** ،لم يكونوا يناقشون شيئا جديدا . فلقد كان اللاهوتيون متحيرين دائما حول مكانة النساء فى خطة الله (لخلاص البشر) .

ولقد كان توما الأكوينى متحيرا تماما ، مثله مثلما كان أوغسطين

من قبل ، فيما اذا كان هناك داع ، على الاطلاق ، أن يخلقها (الله) ، كما قرر أن طبيعة المرأة هى النزوة والهوى ، فكتب يقول :

(فيما يختص بطبيعة الفرد ، فان المراة مخلوق معيب وجدير بالازدراء ، ذلك ان القوة الفعالة فى منى الذكر تنزع الى انتاج مماثلة كاملة فى الجنس الذكرى ، بينما تتولد المرأة عن عيب تلك القوة الفعالة ، او حدوث توعك جسدى ، أو حتى نتيجة لمؤثر خارجى) .

ان القول بأن طبيعة الفرد فى النساء معيبة ، انما هى فكرة التقطها من آراء أرسطو فى علم الأحياء . **فالذكر هو الانموذج او المعيار ، وكل امراة انما هى رجل معيب »** (ص ٦٢) .

*

« نحن معشر النساء لا نزال تحذر الواحدة منا الأخرى ، ومن المؤكد أن هذا يشكل واحدة من أتعس ما ورثناه من ماضينا المسيحى . ولا يدهشنا ، على أى حال ، أن بعض النساء لا يزال يتشكك فى البعض الآخر ، لأن ثقافتنا قد علمتنا أشياء كثيرة مفزعة فيما يتعلق بجنسنا .

ففى مجمع ماسون ، فى القرن السادس ، كان على الأساقفة ان يصوتوا على مسالة : ما اذا كان للنساء ارواح أم لا ؟! ولقد فاز اقتراح الموافقة بأغلبية صوت واحد .

واذا كانت هذه هى خلفية الكراهية للنساء ، فمن الذى يستطيع أن يوبخنا ، معشر النساء ، بسبب كراهية بعضنا البعض » (ص ٦٤) .

* *

● **تأثير عبادة مريم على النساء :**

فى عصر الحروب الصليبية ، « وفى هذا العالم الدينى العدوانى الذى اقتصر فقط على الذكور ، جاءت عبادة مريم العذراء . فلقد أقيمت

الكاتدرائيات ، فى كل أنحاء أوروبا ، تكريما لها ، وحلت محل القديس ميخائيل كبؤرة للعبادة والأساطير بين عامة الناس .. ان مريم تقف فى صف الفقراء والمنبوذين ، فهى تستطيع أن تدخل أناسا ، ممن سبق أن عينهم الله لجهنم ، الى ملكوت السموات ..

ومن المؤكد حقيقة ، على أى حال ، أنه لا الحب (المسيحى) النبيل ، ولا عبادة العذراء ، كان لهما أى أثر فى الوضع الفعلى للنساء داخل المجتمع . ومن المؤكد أن أيا منهما لم يوقف الدعاية الرسمية بكراهية النساء التى استمرت تطلقها الكنيسة . **ان القديس برنارد** الذى فعل كل ما استطاع لنشر عبادة العذراء فى الكنيسة ، كانت عداوته للنساء مريرة . **فعندما جاءت اخته لزيارته فى الدير الذى يقيم فيه ، فانه استشاط غضبا . لأنها كانت ترتدى لباسا جديدا . فقد كانت، كما قال ، مومس قذرة ، وكتلة من الروث .**

ان العبادة الجديدة (لمريم) لم تجد نفعا فى تهذيب أفكاره عن أجساد النساء ، فقد بقيت تماما كما هى فى تقاليد ترتليان » (ص ٧٤) .

* *

● **هل الزواج عقوبة للنساء ؟!**

« انه لوثر الذى يجعل النساء منبوذات قسرا فى وحشة ، ومنفيات من عالم الرجال (فى زواج مسيحى) فبالنسبة للوثر ، وبعيدا عن تكريم النساء بالحض على الزواج كشىء اجبارى ، فانه يرى فى الزواج عقابا للمرأة . لقد كتب يقول :

(ان هذا العقاب ينبع أيضا من الخطيئة الأصلية ، وتتحمله المرأة مكرهة تماما كما تتحمل تلك الآلام والمتاعب التى وضعت على جسدها . ان السلطة تبقى فى يد الرجل ، وتجبر المراة على طاعته حسب وصية الله .
فالرجل هو الذى يحكم البيت والدولة ، ويشن الحرب ، ويدافع عن

ممتلكاته ، ويفلح الأرض ، ويبنى ، ويزرع .. الخ . **أما المرأة ، فعلى العكس من ذلك ، فهى مثل مسمار دق فى حائط** . هى تجلس فى المنزل .. يجب أن تبقى المرأة فى المنزل ، وترعى الحاجات المنزلية ، مثل انسان حرم القدرة على ادارة تلك الشئون التى تختص بالدولة . . **بهذه الطريقة تعاقب حواء**) .

لم يتغير شيء ! قد يكون لوثر تصارع عقائديا مع روما ، ولكننا رأينا ، من وقت لآخر ، كيف أن الكراهية المسيحية للمرأة لم تتأثر بالاختلاف الفكرى العقائدى . فلا تزال المرأة هى حواء ..

ان الصورة غير العادية للمرأة ، كمسمار يدق فى حائط ، تكشف عن حقيقة مكانتها : فهى بائسة لا عون لها ، تساق ، ويدق على رأسها .. لا يسعى وراءها من أجل اقامه مودة زوجية فيها دفء وراحة عائلية ، فلا توجد أى حرارة متبادلة .. ولهذا خلا بدء تاريخ الزواج المسيحى من المحبة ، والمساواة ، وعيش الرجال والنساء معا فى وئام » (ص ٢٧٤ ــ ٢٧٥)

* *

● **خلاص المرأة المسيحية يجعلها رجلا !**

« على الرغم من أن الكنيسة فى الغرب قد لا تسمح لعذاراها بالقيام بأعمال الرجال ، فقد كان اللاهوتيون واضحين فى أن العذراء البتول قد أصبحت رجلا شرفيا . لقد كتب جيروم يقول :

(بما أن المرأة خلقت للولادة والأطفال ، فهى مختلفة عن الرجل كما يختلف الجسد عن الروح . ولكن عندما ترغب المرأة فى خدمة المسيح أكثر من العالم ، **فعندئذ سوف تكف عن ان تكون امراة ، وستسمى رجلا**) (تعليق جيروم على رسالة بولس الى أهل أفسس).

من المثير أن يقارن جيروم النساء بالجسد ، فلقد رأينا كيف اعتبر

جسده عدوا له ، يجب أن يعانى الجوع ويموت بوحشية ، حتى يمكن للروح أن تتحرر ..

واذا استطاعت المرأة أن تحرر نفسها من أمورها الجنسية ، فقد أصبحت مخلوقا روحانيا ومذكرا . **ان امبروز واضح تماما فى انه لكى تحصل المرأة على الخلاص بالنجاة من الخطيئة ، فيجب عليها أن تصبح ذكرا** لقد كتب يقول :

(تلك التى لا تؤمن انما هى امرأة ، ويجب أن تصنف باسم جنسها (الأنثوى) ، بينما تلك التى تؤمن انما تتقدم نحو الرجولة الكاملة . وآنذاك تتخلى عن اسم جنسها (الأنثوى) ، وغوايات الشباب ، وثرثرة العجائز) .

فالبنسبة لأمبروز ، يعنى خلاص المرأة أن تطرح عنها أنوثتها ، وتصير انسانا كاملا بالغا سن الرشد ، أى تصير ذكرا » (ص ١٢٩) .

* *

نتائج هذا الفكر المسيحى الكنسى

● **تعاليم كنسية بتقييد ممارسة الجنس بين الزوجين !**

« بينما كانت المسيحية تنتشر ، انتشر معها ببطء أيضا كراهيتها للجنس والنساء . لقد كان الوعاظ جميعا ، بالطبع ، من الرجال ، وكانوا أيضا اما بتولا ، أو أجبروا رغما عنهم على البتولية ، وبذلك كانت نظرتهم للجنس معقدة . ولم تكن الرسالة الجنسية التى مست الناس العاديين (غير الأكليروس) أكثر كآبة وسلبية ، مما كان فى توجيهات الاعتراف التى حاولت الكنيسة من خلالها أن تسيطر على الحياة الجنسية للناس ، حتى أولئك المتزوجين . .

وهكذا نجد أن **المكفرات** (وهى : ارشادات لرجال الدين حول الحكم فى مختلف خطايا المؤمنين) تبين أنه فى مطلع القرون الوسطى ،

كانت الكنيسة تحاول فرض امتناع كلى على ممارسة الجنس بين الزوجين. فلقد حظرت ممارسة الجنس أثناء : حمل المرأة ، والرضاعة .. كذلك حظرت ممارسة الجنس أثناء : الصوم الكبير ، وأيام الآحاد الأربعة السابقة للميلاد ، وأيام الآحاد والأربعاء والجمع ، وقبل تناول العشاء الربانى ..

ولقد كانت تعاليم المكفرات مهتمة بعدد مرات ارتكاب خطيئة العادة السرية ، وخاصة بين رجال الدين .

ان هذا يبين أن الناس كانوا يحاولون مراعاة هـذه القواعد . وأنهم اجبروا بذلك على ممارسة العادة السرية ، نظرا لحظر أى متنفس جنسى آخر ..

كذلك كانت هناك مخاطر جسمانية أخرى ، فقـد كان سـوء التغذية والوجبات غير المناسبة ، شائعا فى أوروبا لفترات طويلة . ومن المعلوم جيدا أن هـذا يقلل الشهوة الجنسـية . كما أن الوجبة غير الصحية تعنى أن كثيرا من الناس كانوا يعانون من أمراض جلدية مروعة تشوه المنظر . ولقد عانت النساء كثيرا من الآلام المهبلية وآلام المبايض التى جعلت الجماع عملية مؤلمة ، بل ومستحيلة ، كمـا كانت الأمراض التناسلية شائعة اضافة الى ذلك ، كانت رائحة النسـاء والرجال منتنة . وحتى مع التسليم بأننا نتكلم عن مجتمع لا يهتم بالاستحمام ، كما نفعل الآن ، فقد اشتهرت النسـاء الانجليزيات ، بين الأجنبيات ، برائحتهن المنتنة على وجه الخصوص . وكانت المداعبة قبل العملية الجنسية غير معروفة ، وخاصة بين القرويين ، فى انجلترا وفرنسا . وكان هناك أيضا الخطر الدائم من الحمـل ، فى عصر كان مولد الطفل محفوفا بمخاطر للمرأة ، وكثيرا ما انتهى بموت الطفل .

وهكذا كان انفجار الدعاية ضد الجنس ، والتى أشعلتها الكنيسة ، كأنها ضربت على وتر حساس عند كثير من الناس ، فرأوا أن الجنس ليس شيئا يحقق مطالب الحياة الزوجية أو يعززها » (ص ٣٥ ــ ٣٦) .

* *

● فجور قسيس !

« منذ القرن الثانى عشر ، انتقلت الى جنوب أوروبا عدوى هرطقة **الكاثارية** ، التى كانت تعتقد أن الشر مطلق كما أن الخير مطلق ، وأن المادة شر وفساد ، وكذلك أدين الجسد والجنس والزواج كأشياء مادية مملوءة بالخطيئة • وقد اعتقد الكاثاريون أنه اذا لم يقدر الانسان أن يكون واحدا من البتوليين ، وهم الطبقة العليا ، فمن الأفضل ان يكون غير مقصور على امرأة واحدة بدلا من ان يتزوج ، لأن الزواج أضفى مباركة شرعية على شىء تأصل فيه الشر •

ولقد حدث فى قرية مونتايو الفرنسية ، التى انتقلت اليها بشدة عدوى الكاثارية ، أن تزوجت امرأة تدعى **فابريس** فى عائلة متهرطقة • ونظرا لأنها لم تعتنق فكر أولئك الهراطقة ، فقد طردت خارج منزل زوجها ، حيث عاشت فى بؤس مقيم ، وكانت تكسب معيشتها من العمل فى احدى الحانات •

وعندما بلغت ابنتها **جرازيدا** واحدا وعشرين سنة ، استدعيت أمام **محكمة التفتيش** ، ليس فقط من أجل الشك فى انتمائها الى تلك الهرطقة ، بل أيضا لأنها كانت عشيقة قسيس الأبرشية **بيير كليرج** ، الذى كان كاثاريا •• ولقد حفظت لنا شهادة جرازيدا ، التى جاء فيها :

(منذ سبع سنوات أو نحو ذلك ، جاء بيير كليرج الى بيت أمى التى كانت خارج البيت تعمل فى الحصاد فى فصل الصيف • وقد حرضنى على ممارسة الجنس معى فقبلت • كنت لا أزال عذراء ، عمرى أربعة عشر عاما ، على ما أظن ، أو خمسة عشر عاما ، فأخذنى الى مخزن الحبوب حيث يحفظ التبن ••

بعد ذلك كرر معاشرتى جنسيا حتى يناير التالى ، وكان ذلك أيضا فى بيت أمى • **ولقد علمت امى بذلك ، لكنها تسامحت** ، وكان أكثر ذلك يحدث فى النهار •

وفى يناير ، زوجنى القسيس الى زوجى الراحل بيير ليزيير . واستمر بعد ذلك يعاشرنى جنسيا طيلة السنوات الأربع التى عاشـها زوجى ، لقد علم زوجى بذلك ، لكنه لم يبد أى معارضـة . فعندما سألنى عن ممارستى الجنس مع القسيس ، أخبرته بالحقيقة ، فطلب منى أن أحرص على ألا يكون ذلك مع أى رجل آخر خلاف القسيس . على أننى وبيير (القسيس) لم نمارس الجنس أبدا أثناء تواجد زوجى بالبيت ، فلم يكن يحدث ذلك الا فى غيابه خارج البيت .

انى لم أكن أعلم أن (القسيس) بيير كليرج كان ابن عم لأمى فابريس .. ولو علمت ذلك ، ما تركته يمارس الجنس معى . ولأنى واياه كنـا نستمتع بذلك ، فلم أكن أعتقد أننى كنت أرتكب الخطيئة معـه » ! (ص ٣٨ — ٣٩) .

* *

● **اضطهاد المرأة دفعها الى الشك فى المسيحية :**

كانت **كريستين دى بيزان** كاتبة عاشت فى القرن الخامس عشر ، وقد جمعت بين الثراء والثقافة العالية . ولقد أتعسها حال بنى جنسـها من النساء فتبنت قضيتهن ، كما جاء فى مؤلفها : **كتاب مدينة السيدات** . « فهى تخبرنا أنه فى كل قراءاتها الواسعة ، لم تجد شيئا سوى كراهية النساء . ان كل السلطات (تنتهى الى قرار واحد هو : أن سـلوك النساء يجنح الى الرذيلة ويمتلىء بالمعايب) . وعندما راجعت كريستين حياتها الخاصة بكل دقة ، وحياة صديقاتها من النساء ، فانها لم تجـد تبريرا لذلك القرار .. وتولد عندها ، اثر ذلك ، **مشكلة كره الذات** ..

لقد كانت آراء اكويناس وأوغسطين وكثير غيرهم سببا فى اقتناع كريستين بأنها كانت شيئا بغيضا ومخلوقا غير طبيعى . **وكانت تتساءل** بحرارة : **هل خلق الله مثل هذا الخلق المرعب ، ومثل هذا الشىء الأثيم الذى تمثلت فيـه المرأة ؟**

لقد أوصلها ذلك ، حسبما تتذكر ، الى الكفران بصلاح الله ! فقد استحال عليها الاعتقاد فى أن الله الطيب الصالح قد صنع مخلوقا مثل المرأة .. وعلى الرغم من ادراكها الشخصى لبراءة النساء ، فقد أصبحت مقتنعة بشدة أن النساء لا بد أن تكون شرا ، حسبما أخبرها بذلك مجتمعها وثقافتها ، فكتبت تقول :

(يا الهى ! كيف يحدث هذا ؟! لانه ما لم اضل شاردة من ايمانى ، فيجب ألا أشك أبدا فى أن حكمتك اللانهائية وصلاحك الكامل المطلق ، لم يخلق أبدا أى شىء لم يكن خيرا ..

ومع ذلك ، أنظر الى هذه الاتهامات التى حكم بها على النساء وتقررت وفرغ منها ضدهم . انى لا أعلم كيف افهم هذا التناقض !

فاذا كان الأمر كذلك ، أيها الرب الاله العادل ، انه فى الحقيقه يسود الجنس الأنثوى مقت شديد ــ لأنك نفسك تقول ان شهادة شاهدين أو ثلاثة يضفى عليها التصديق ــ فلماذا لا أشك فى أن هذا هو الحقيقة ؟

واحسرتاه ، يا الهى ! لماذا لم تجعلنى اولد فى هذه الدنيا رجلا ، لتكون كل نزعاتى مكرسة لخدمتك على نحو أفضل ، وحتى لا أضل فى أى شىء ، وأكون كاملة مثل الرجل ، كما يقولون) ؟! (ص ٨٣ ــ ٨٤) .

* *

● **مذابح مروعة للنساء :**

دأب الفكر الكنسى المسيحى الغربى ، عبر قرون عديدة ، على اثارة جو متأجج بكراهية المرأة والخوف منها ، استمد جذوره الأولى ما تحكيه الصفحات الأولى من الكتاب المقدس عن الخطيئة الأولى التى تضع مسؤليتها فى عنق حواء ، وتحملها بالتالى مسئولية كل المتاعب والآلام التى يعانيها الجنس البشرى على هذه الأرض . ثم جاءت فكرة الخطيئة المتوارثة التى غرسها بولس فى المسيحية على غير أساس ، كما

هينا سلفا وتعهدها آباء الكنيسة حتى كان أوغسطين الذي صاغ معتقد الخطيئة الأصلية فى صورته النهائية .

لقد كان هذا المعتقد ـ كما بينا سلفا أيضا ـ اختراعا من صنع المسيحية . ان خبرات الحياة تؤكد لنا كل يوم حقيقة ما قاله المسيح فى موعظة الجبل عن الذين يسيطرون على فكر الناس ومعتقداتهم طغيانا بغير علم ، فيجلبون لهم ـ ولتابعيهم ـ الشقاء فى الدنيا والآخرة . فلقد قال فيهم المسيح قولة حق ومعيار صدق : « **من ثمارهم تعرفونهم . هل يجنون من الشوك عنبا او من الحسك تينا .** هكذا كل شجرة جيده تصنع اثمارا جيدة . وأما الشجرة الردية فتصنع أثمارا ردية . لا تقدر شجرة جيدة ان تصنع أثمارا ردية ، ولا شجره ردية أن تصنع آثمارا جيده . كل شجرة لا تصنع ثمرا جيدا ، تقطع وتلقى فى النار . فاذن ، من ثمارهم تعرفوهم ـ متى ٧ : ١٦ ـ ٢٠ » .

وما كان لكل هذه المعتقدات التى ربطت الخطيئة والجنس والمرأة معا وما ترتب عليها من عداوات بثتها الكنيسة الا أن تؤتى ثمارها المرة . وبلغت المرارة أقصى لسعاتها فى القرنين السادس عشر والسابع عشر حين اتخذ الرعب من المرأة أبشع صوره المتوحشة فى تلك المذابح الدموية التى تعرضت لها النساء فى الغرب المسيحى .

*

تقول **كارن ارمسترونج** : « ان أعمال القمع فى الحضارة الغربية لا ترى ظاهرة بوضوح الا فى حالات الرعب الفجائى المتعاظم الذى يصاحب تلك الأعمال ، ويتفجر من وقت لآخر بعنف مذهل ثم يخمد فجأة ، تاركا كل شخص مرتبكا ومتحيرا من ذلك الجنون الوقتى الذى سيطر على المجتمع ..

ان جنون القمع هذا لا يوجه الى مجرمين حقيقيين فى المجتمع أو ينزل بمن يناصبونه العداء حقا ، لكنه يصيب ضحايا يعملون كبش فداء لأمراض العصاب التى كبتها المجتمع ، ولم يكن له من وسيلة للتعبير

عنها سوى هذا الأسلوب العنيف واللاعقلانى . وكثيرا ما نسمى هذه الأعمال الجنونية : «تعقب المتشيطنات وقمعهن»(١) بسبب الجنون الشهير الذى تفجر فى أوروبا خلال القرنين السدس عشر والسابع عشر ، خاصا بتعقب نساء السحر الأسود والتنكيل بهن .. وعلاوة على ذلك ، فان تعقب المتشيطنات وقمعهن قد فعل ما هو أكثر من مجرد اعطاء اسم لظاهرة غريبة مزعجة وعجيبة .

فلقد دمرت تلك الحملات ، الى أبعد حد ، العلاقة بين الجنسين فى مجتمعنا . لقد حشد تعقب المتشيطنات وقمعهن كل المخاوف الدفينة التى كانت تنمو تدريجيا فى الغرب المسيحى . ففى نهاية القرن الخامس عشر ، كان واضحا تماما ان الكنيسة قد طبعت اوروبا برعب من الأمور الجنسية ، وكراهية للنساء ، تفجرت كلها فى الحملات المتفرقة لتعقب المتشيطنات وقمعهن . لقد نما الذعر من ذلك أثناء القرن السادس عشر ، ووصل ذروته فى نهاية ذلك القرن ، واستمر حتى عام ١٦٨٠ عندما بدأت تلك النقمة فى

---

(١) تقول المعاجم ثنائية اللغة فى ترجمة الكلمة الانجليزية (Witch) : انها : ساحر (ة) . عراف (ة) . بينما تقول المعاجم الانجليزية احادية اللغة (اوكسفورد) ان هذه الكلمة تعنى : امراة قيل انها تستخدم السحر وخاصة للأغراض الشريرة . اى انها امراة تستخدم السحر الأسود . وهذا يبين ان الترجمة العربية الشائعة لتلك الكلمة الانجليزية ليست دقيقة . فهى ذاتها تستخدم لترجمة كلمات انجليزية أخرى شبه مترادفة لها . والأفضل ان تكون ترجمة كلمة (Witch) هى : امراة السحر الأسود ، أو : امراة متشيطنة .

كذلك تقول المعاجم ثنائية اللغة فى ترجمة المصطلح الانجليزى : (Witch - hunt) ، انها : مطاردة الساحرات (وتعذيبهن) . بينما تقول المعاجم احادية اللغة أن هذا المصطلح يعنى : شن حملة صارمة لفضح المنشقين على المجتمع ، بزعم حمايته والعمل لمصلحته . فالأفضل ان تكون ترجمة هذا المصطلح حسب ظروف استخدامه تاريخيا هى : تعقب المتشيطنات (أو : نساء السحر الأسود) وقمعهن . ثم تكون ترجمته مجازا هى : تعقب المنشقين وقمعهم .

التبدد . ولقد كان للعالم الجديد فى أمريكا جنون تعقب المتشيطنات الخاص به ، كما حدث فى « سالم » عام ١٦٢٩ ، مسترجعا عصاب أوروبا على الجانب الآخر من الأطلسى .

لقد كان تعقب المتشيطنات وقمعهن ظاهرة دينية دبرتها الكنيسة ، ودعمتها معتقدات الناس الاتقياء والمخاوف التى حلت بالنساء المتعقبات ..

لقد كان تعقب المتشيطنات وقمعهن تتاجا محضا للحمية المسيحية ، فقد كان ظاهرة غربية خاصة .. ولقد عانت بعض أجزاء أوروبا من قسوته أكثر من أجزاء أخرى ، فكانت حملات القمع فى أسبانيا وايطاليا والبرتغال وهولندا محدودة ومتفرقة ، كما كانت ضئيلة فى انجلترا ، على الرغم من اعدام المئات من النساء لهوايتهن أعمال السحر والتنجيم ، وتلك ظاهرة مختلفة تماما عن ظاهرة تعقب المتشيطنات . أما فى استكلندا وفرنسا والولايات الألمانية وسويسرا ، فقد كان جنون حملات القمع أسوأ ما يكون ، اذ يحدث أنه يتفجر بعنف فى منطقة ما ، ثم يتوقف فجأة ليندلع فى نفس المكان بعد سنوات .

وطوال حملات تعقب المتشيطنات وقمعهن ، كان يعتقد أن هناك شيطانا يمارس الجنس مع هؤلاء النسوة ، وكانت تعرف تلك الروح الشريرة باسم : الحضون . كما يعتقد أن تلك النساء المتشيطنات يمكنهن الطيران فى الهواء ليلا لحضور الاحتفال بيوم لراحة الأسبوعى ، حيث يعبدن الشيطان ، وينغمسن فى شعائر وحشية ، ويمارسن طقوسا جنسية عربيدية . وكان يعتقد كذلك ، أن هؤلاء النساء يمتلكن قوى سحرية ، اذ كن فى تحالف مع الشيطان من أجل تدمير الجنس البشرى ، كما كانت لهن القدرة على اثارة العواصف ، واتلاف المحاصيل ، واحداث العجز الجنسى للآخرين ، واصابتهم بالعقم والموت . **لقد كان تعقب المتشيطنات بدعة مسيحية** ، وكان ينظر اليها على أنها

واحـدة من أخطر أنواع الهرطقات لأنها كانت تعطى للشيطان التكريم الذى كان يجب أن يعطى لله • ولهذا كان الواجب على كل المسيحيين الأتقياء تعقب هؤلاء النسـاء المتشيطنات اللاتى تعادين الله والمجتمع • فتلك مؤامرة يجب فضحها ، كما يجب اجبار هؤلاء المتشيطنات على الاعتراف بجرمهن ، والكشف عن أسماء زميلاتهن ورفقـاء المؤامرة • فلهـذا كان تبرير التعذيب ممكنا ، وقـد مورس بوحشية ، حتى ان النساء اعترفن بأنهن متشيطنات حقا ، وقمن بوصف ممارستهن الجنس مع الشيطان ، وما كان يحدث فى حفل يوم الراحة الأسبوعى ، وذلك حسب التلقين الذى تضمنته أسئلة المحققين •

لم يكن فى الاعتقاد بوجود نساء متشيطنات أى فكر منطقى ، وقد ناقض كثيرا من المبادىء المسيحية بما فيها وصية المسيح بمحبة الأعداء • فما كان سوى اقتناعا عاطفيا يتبع من أعمال الكبت التى فرضتها المسيحية على أوروبا •• فطول قرون عديدة ، كان ينظر الى الجنس على أنه شر ، وأن النساء أعداء الرجل ، أما الآن فقد أصبح الجنس شيطانيا ، وأصبحت النساء هن العدو الرئيسى للمجتمع •

لقد اعتقد كثير من الناس بشدة فى وجود هؤلاء النساء المتشيطنات، وأن الواجب يفرض عليهم قتل الآلاف منهن • ومن الصعب الآن معرفة عدد النسـاء اللائى قتلن خـلال الجنون الذى استمر مائتى عـام ، **وان كان بعض العلماء يؤكد انه قـد مات فى موجات تعقب المتشيطنات بقـدر ما مـات فى جميـع الحروب الأوروبيـة حتى عـام ١٩١٤ ، فنادرا ما تركت اية امراة على قيد الحيـاة فى بعض القرى السويسرية** • فمن المحال ، اذن ، تقدير أعداد القتلى من هؤلاء النساء بدقة واقعية ، لكن يبدو أن الأعداد كانت كبيرة بدرجة مفزعة •

لقـد كان معتقد شيطنة النسـاء ، اذن ، خيـالا جامحا ضخما تراكم فى عقـول المسيحيين الغربيين ، معـبرا عن أعمـق مخاوفهم ، **كما كان مرضا عالميا نفخت فيه الحياة ديانة المحبة ... !**

لقـد تعلم المسيحيون أن النساء مخلوقات بغيضـة ، وفاسقات جنسيا • ثم كانت المرأة المتشيطنة قمـة ذلك الفسـوق ، وكان الاعتقاد فى ممارستها الجنس مع الشيطان حقيقة رهيبة مسلما بها » (ص٨٨ــ٩١)•

❋

● **خرافة وثنيـة :**

« ان الاعتقاد الوثنى القديم بأعمال التشيطن هذه ، تسلم معموديته المسـيحية فى عـام ١٤٨٤ عنـدما أصـدر **البـابا انوسنت الثـامن** مرسوما بابويا مذهلا ، حيث يظهر منه أن قلقا جنسيا انتشر فى ألمـانيا بصورة وبائية • فقد صار الرجال عاجزين عن ممارسة الجنس ، كما عجزت زوجاتهم عن الحمل • وقد أرجع ذلك الى النسـاء المتشيطنات (اللاتى استسلمن للشيطان ليمـارس الجنس معهن) ، واللاتى أثرن بقوة السحر فى الجيران •

عنـدئذ كلف البـابا اثنين من الآبـاء الدومينيكان همـا : **يعقوب شبرنجر ، وهينرش كريمر ،** يتولى هـذا الموضوع • وكانت نتيجةعملهما المشترك هو اصدار **دليل عمل** بعنوان : **مطرقة المتشيطنات ،** الذى كان كتيبا الغرض منه مساعدة المحققين فى تحرى أعمال المتشيطنات• ولقد حظى هذا الكتيب بمصادقة متأنية من جامعة كولونيا عام ١٤٨٧ ، ثم أصبح المصدر الرئيسى لديوان التفتيش حيث تكررت منه تسعة عشر طبعـة •

ويحاول شبرنجر فى هذا الكتيب أن يبرهن على أن النساء قابلات لاغواء الشيطان أكثر من الرجال لأنهن أصلا مخلوقات فاسدات • ثم هو يطور نظرية اكويناس التى تقول بأن النساء أسـاسا هن مخلوقات بشرية مشوهة • لقد كتب شبرنجر يقول :

« يجب ملاحظة ان هناك عيبا فى تكوين المراة الأولى .. وحيث انها من خلال هذا العيب تكون حيوانا مشوها ، فانها دائما تخادع .. وهذا ما تبينه

دراسة اصل كلمة : « انثى » وتاريخها (فى اللغات الاوربية) ، لان كلمة (Femina) **تتكون من شقين هما :** (Fe - Minus) **(فالكلمة تتضمن معنى النقص)** ، نظرا لأنها ضعيفة أبدا لا تستطيع التمسك بالايمان والمحافظة عليه .

ـ ص ٤٤) . فهذا شيء يختص بصميم طبيعتها » (مطرقة المتشيطنات

كذلك كتب شبرنجر يقول : **(أن كل أعمال شيطنة المرأة انما تنبع من تحرقها الشهوانى الذى لا يشبع . فهنـاك (حسب الكتاب المقدس) ثلاثة لا تشبع ، وأربعة لا تقول كفى : ذلك هو فم الرحم (سفر الأمثال : الاصحاح ٣٠)** . وبناء على ذلك ، فان النساء مستعدات لمعاشرة أى شخص حتى ولو كان الشيطان) (مطرقة المتشيطنات ـ ص ٤ ٤ .

فكما أن الجنس قد نظر اليه دائما على أنه مرتبط بالخطيئة الى أبعد حد ، فقد صار الآن مرتبطا بقوة الشيطان .

ويستمر **مطرقة المتشيطنات** فى لقاء مسئولية الشهوة الجنسية على النساء . **ان شبرنجر يشكر الله بحرارة على ان الرجال متحررون من تلك الشهوة الجنسية الملعونة ! ، وهم بالتالى متحررون من** أعمال الشيطنة (فحيث انه (الرب) كان راضيا أن يحمل به (فى البطن) ويقاسى من أجلنا ، فقد أنعم على الرجال بهذا الامتياز) .

ان الانطباع المذهل من هذا القول ، هو ان الله لم يخلص النساء ، او لم يمت من اجلهن ، ولهذا اسلمهن الى الجنس ومن ثم الى الشيطان.

لقد كان هناك ميل دائم الى دفع النساء بعيدا عن خطة الله لخلاص العالم ، أما الآن فان النساء لم تئن فقط من الدخول فى تلك الخطة ، بل انهن وضعن موضع العدو ، حيث تحالفن مع الشيطان ، عـدو الله وعدو الانسان » (ص ٩٣ ـ ٩٥)

● **ماساة جين هارفيير :**

« هناك قصة محزنة بطلتها جين هارفيير ، التى عرضت قضيتها على **برلمان باريس فى عام ١٥٧٨** . فعندما كانت طفلة ، **أحرقت امها** كامرأة متشيطنة ، وباعتبارها ابنة لهذا النوع من النساء **فقد تعرضت للجلد بأمر البرلمان** . لكن البلية لم تنته بعد ، فان وصمة عار أمها جعلتها غريبة تماما عن المجتمع . ولما كانت جين قد أجبرت باستمرار على التحرك من مسكن الى آخر ، وعلى تغيير اسمها ، لكى تهرب من لعنة التشيطن ، فقد وجدت نفسها أنها أصبحت فى آخر الأمر وحيدة تماما لدرجة أنها صارت تشعر بأنه لا يوجد من تتجه اليه سوى الشيطان .. لقد أصبحت جين مقتنعة أن أمها كرستها للشيطان .. واعترفت بأن شيطانا تعود أن يظهر لها على هيئة رجل طويل ، يرتدى ملابس سوداء ، متوشحا بسيف .. وأنه أصبح صديقها الوحيد ، وحبيبها الذى كانت تمارس الجنس معه الى أن بلغت الخمسين عاما عندما اتهمها جيرانها بالتشيطن ..

فعلى الرغم من ان جين اعترفت بأن الروح الشريرة كانت تجامعها ليلا ، فلم يكن هذا كافيا فى نظر القضاة اذ لا بد ان تطبق عليها كافة سلسلة الاستجواب ، فعذبت الى ان اعترفت بانها كانت تطير فى الهواء ، وتشترك فى حفلات العربدة خلال يوم الراحة الأسبوعية ، وانها عبدت بعلزبول (رئيس الشياطين الذى زعم اليهود أن المسيح كان لا يخرج الشياطين الا بمساعدته ــ متى ١٢ : ٢٤) .

ان صنوف العذاب التى صبت على هؤلاء النساء البائسات قبل موتهن المحتوم ، لتبين بوضوح حجم الكراهية للنساء ، والتى كانت السبب فى نفث هذا الجنون . لقد كان وير فى رعب مما رآه فى السجون ، وكان يلح على أن هؤلاء النساء المتهمات لم يكن هرطيقات ، وانما هن نساء بائسات جاهلات مريضات » (ص ١١٤) .

* *

خاتمـــة : وتعليـــق

ان هذا الموضوع لا يحتاج الى تعليق ...

على أن **كارن ارمسترونج** قد كفتنا مئونة التعليق ، فلقد كان لها ملاحظات وتعليقات نكتفى بذكر شىء منهـا تحت موضـوعين فرعيين فيمـا يلى .

*

● **المسيحية والمحبـة :**

تقول كارن ارمسترونج : « لقد كانت فكرة المحبة واحدة من أهم المثل العليا فى المسيحية ، فقد قال يسوع ان العلامة المميزة لأتباعه تكون بقدر ما يحمله الواحد منهم من محبة للآخرين . ولقد مدح القديس بولس المحبة أكثر من كل مواهب الروح التى تثير العجب . فبدونها يكون الانسان طبلا أجوف ، أو نحاسا يطن ، أو صنجا يرن . ولقـد ألح القديس يوحنا على أنه عنـدما يحب المسيحى جاره فانه آنذاك فقط يستطيع أن يحب الله بصدق . بل ان يسوع قال ان محبة الأصـدقاء ليست كافية ، فيجب على المسيحى أن يحب أعداءه أيضا ، الا أن الحب ليس من المثل العليا التى تسهل ممارستها . على انه يجب القول انه مهما كانت نظريانها اللاهوتية الرسمية التى تختص بالمحبة ، فقد بقيت المسيحية واضـحة فى كونها اقـل فى جانب المحبة عمـا هى فى جـانب الكراهيـة .

نحن (فى الغرب المسـيحى) نسـعد جـدا بوصم الاسـلام بالعنف ، لكننـا نتناسى من اجـل راحتنـا ان تاريخنـا المسـيحى كان قصـة معتمـة من الحـروب الصـليبية والاضطهادات . لقد اعتقد المسيحيون فى أوروبا ، طيلة قرنين من الزمان ، أن واجبهم الدينى يحتم عليهم ذبح المسلمين واليهود فى الحروب الصليبية.

فلقد كان ينظر الى قتل أعداء المسيح والبلاد المسيحية ، كعمل مقدس يستحق المكافأة والتقدير ، وسبيلا يمارس من خلاله الرجل العادى (من غير رجال الدين) المحبة الكاملة لله ، تماما كتلك التى يمارسها الراهب فى الحياة الدينية .

ثم كان على المسيحيين ، فيما بعد ، أن يشنوا حروبا صليبية ضد المسيحيين الآخرين ، ليس فقط ابان محاكم التفتيش ، ولكن أيضا بعد الاصلاح الدينى ، حيث قام الكاثوليك والبروتستانت بقتل بعضهم البعض . وحتى عندما لم توجد قضايا اضطهاد فعلى ، فقد كانت المسيحية قاسية جدا ، لا تبالى بطريقة متوحشة ، وتستغل بأسلوب منافق جماعات كثيرة من الناس . ومن المؤكد أن النساء لم تكن الوحيدات اللاتى قاسين على أيدى المسيحية ، ولكنهن ، فى الحقيقة ، كن من أوائل الأعداء الذين ابتدعتهم . ان هذه الكراهية للنساء انما تنبع من عملية اسقاط نفسى للمخاوف والشعور بعدم الأمان الذى استقر فى عقول المسيحيين وقلوبهم . ولقد ابتدعت المسيحية ، خلال تاريخها الطويل ، صورا مماثلة أخرى لأعداء ، كانت تنمو فى الأذهان بعمليات اسقاط نفسى .

وهكذا ، بدءا من القرن التاسع ، صار المسلم عدوا للمسيحيين ، وكانت صورته عند المسيحيين فى اوروبا لا تمت الى الحقيقة على الاطلاق ، لكنها تظهر خليطا من الخوف والاعجاب اللذان شعر بهما المسيحيون نحو الاسلام ، الى جانب قلق دفين من اجل المسيحية ذاتها . وهكذا ايضا ، فى الوقت الذى اجتاحت فيه أوروبا الحروب العدوانية ، وكان يستفحل فيها تدريجيا مفهوم العنف المقدس الذى تفجر اخيرا فى الحروب الصليبية ، كان الاسلام يعرض بصورة خاطئة تماما على انه الدين العنيف ، غير المتسامح ، الذى ذبح أصحاب العقائد الاخرى . ومرة اخرى ، عندما حطمت أوروبا مخاوفها الجنسية ، كان ينظر الى المسلم ايضا ، وبصورة خاطئة تماما ، على أنه انسان اباحى بغيض .

ان هذا لم يكن مجرد مسألة جهل بالحقائق ، فحتى عندما استطاع الناس معرفة الحقائق عن الاسلام ، فانهم استمروا فى ترديد الأحكام المسبقة القديمة عنه ، والتى كانت احتياجا عاطفيا للغرب طيلة قرون .

ولقد عانى اليهود أيضا بنفس الطريقة منذ نهاية القرن الحادى عشر ..

ان النساء لم تكن مجرد طبقة مثل العبيد أو الفقراء الذين لم يقم المسيحيون بعمل أى شىء للتخفيف عنهم فحسب ، بل انهم فى الواقع زادوا من معاناتهن . لقد كان يقال للفقراء على الدوام أن يتوافقوا مع الكنيسة : فهذا لوثر يحرض الأمراء على قتل الفلاحين الثائرين ، ولكن على الفلاحين أن يكونوا ثائرين ! ان الفلاح لم يكن شريرا لمجرد كونه فلاحا ، مثلما كان اليهودى شريرا لكونه يهوديا ، ومثلما كانت المرأة شريرة لأنها حواء ..

وكيفما كان الحال ، فان النساء لم تكن مجرد جماعة أساء المسيحيون معاملتها ، بل كانت النساء من أول أعداء المسيحيين ، اذ ارتبطن بالشيطان من أجل تدمير الرجال » (ص ٦٨ ــ ٦٩) .

* *

● **أثر الاسلام فى احترام الأم والزوجة المسيحية :**

« ان الكنيسة الكاثوليكية لم يكن لديها القدر الكافى من الكفاءة لكى تفرض آراءها فى الجنس بنفس القوة التى مارستها البروتستانتية . ولعل هذا هو السبب أنه فى البلاد الكاثوليكية ، مثل ايطاليا ، يوجد تقدير أكبر للجنس ، ويوجد تقدير أكبر ــ من بعض الأوجه ــ للنساء ، عما هو فى البلاد التى تعتبر تقليديا بروتستانتية ..

ان الأم الايطالية ، التى لها عميق الاحترام والنفوذ فى اسرتها ، انما تشبه فى ذلك النساء غير المسيحيات فى عالم البحر الأبيض المتوسط

مثل الأمهات العربيات المسلمات ، أكثر الى حد كبير من شبهها لأخواتها المسيحيات فى انجلترا أو المانيا ، حيث لا تتمتع تلك الأمهات بنفس المكانة .. وفى اسبانيا ، التى تأثرت بقوة بالاحتلال الاسلامى ، فقد تأثرت بالمفاهيم الاسلامية الخاصة بالجنس والموقف من النساء ..

وعندما يعزل المسلم نساءه عن العالم ، فانما ذلك دليل على شدة احترامه لهن بما يجعله يربأ بهن عن مخالطة عالم الأسواق الخطر الدنىء .

وهناك شواهد على أن النساء الغربيات اللاتى استقر بهن المقام فى مملكة أورشليم ، ابان الحروب الصليبية فى القرون الوسطى ، قد اكتسبن احتراما من المؤكد ان اخواتهن فى اوروبا لم يتمتعن به فى القرن الثانى عشر الذى اشتهر بكراهية النساء ، وأنهن قد اكتسبن هذا الاحترام من اتصالهن بالاسلام . وقد بدأ الكثير من نساء الصليبيين فى ارتداء الحجاب ، بعد أن رأين المكانة والاحترام اللذان يوفرهما للنساء المسلمات ..

وعندما حجز المسلمون نساءهم ـ حسب التقاليد ـ فى نظام الحريم داخل بيوتهم ، فذلك بسبب تقديرهم لهن ، واعتبارهن خاصتهم ، بينما حجز المسيحيون نساءهم خارج حياتهم ، لأنهم كانوا يكرونهن ، فصارت النساء منفيات الى عالم منعزل يتسم بالوحشة » (ص ٤٢ ، ٦٣) .

* *

أما بعد ...

هذا قليل اقتبسناه من كثير مما جاء فى الدراسة الحافلة التى قامت بها كارن ارمسترونج ، فكانت تأريخا وثائقيا للفكر المسيحى ، وتبيانا ملموسا لأوضاع المرأة فى المسيحية عبر القرون ، ضمنتها كتابها المتميز : انجيل المرأة ، الذى جاء فى ٣١٠ صفحة ، واعتمد على ١١٨ مرجعا .

ان كارن تملك امكانات البحث والدراسة عن حقيقة أوضاع المرأة فى اليهودية والمسيحية فقط وذلك بحكم نشأتها وبيئتها وانتمائها الفكرى والعقائدى ، ولتوافر جميع المصادر والمراجع التى تحتاجها • أما كتابتها عن الاسلام ، فهذا شىء فوق طاقتها نظرا لاعتبارات كثيرة من أهمها : ندرة المراجع الأمينة التى يعتمد عليها فى التزويد بالمعلومات الصحيحة ، بدلا من تلك الغلالات الحالكة التى دأب غلاة الاستعماريين وأغلب المستشرقين وأشياعهم على نسخها حول الاسلام ونبيه والمرأة المسلمة والحريم •••

وان كادت كارن أن تفلت أحيانا من شباك تلك الخيالات المريضة ، فتعترف بأفضلية بعض المفاهيم والممارسات الاسلامية ، فانها فى أشد الحاجة الى دراسة عن الاسلام تستقى بأمانة من مصادره الأصلية الصحيحة •

*

ليس هنا مجال الحديث عن المرأة فى الاسلام ، ولكن يكفى أن نورد حادثا واحدا وقع فى صدر الاسلام ، كان بطلاه : امرأة من عامة المسلمين ، وعمر بن الخطاب ، الخليفة الثانى ••• وعمر هو من هو : الحاكم العادل ، والفقيه الورع ، ومنظم الدولة الاسلامية الواسعة ومشيد أركانها •••

يقول ابن كثير : « ركب عمر بن الخطاب منبر رسول الله ﷺ ثم قال : أيها الناس ! ما اكثاركم فى صداق النساء ؟! وقد كان رسول الله ﷺ وأصحابه ، والصدقات فيما بينهم أربعمائة درهم ، فما دون ذلك ؟! ولو كان الاكثار فى ذلك تقوى عند الله أو كرامة ، لم تسبقوهم اليها • فلأعرفن ما زاد رجل فى صداق امرأة على أربعمائة درهم •

ثم نزل • فاعترضته امرأة من قريش ، فقالت : يا أمير المؤمنين ! نهيت الناس أن يزيدوا فى مهر النساء على أربعمائة درهم ؟

قال : نعم . فقالت : أما سمعت ما أنزل الله فى القرآن ؟!

قال : وأى ذلك ؟

فقالت : أما سمعت الله يقول : ﴿ **وآتيتم احداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيئا ، أتأخذونه بهتانا واثما مبينا** ﴾ ؟! (النساء : ٢٠) .

قال : اللهم غفرا ! كل الناس أفقه من عمر .

ثم رجع ، فركب المنبر فقال : أيها الناس ! انى كنت نهيتكم أن تزيدوا النساء فى صدقاتهن على أربعمائة درهم ، فمن شاء أن يعطى من ماله ما أحب » .

ان دلالات هذه القصة كثيرة ، وان الذين يهتمون بقضية النساء ، لهم أكثر الناس استشهادا بها ، بحكم ما تبينه من مواقف ، وما تثبته من أحكام .

لقد صنع الاسلام من امرأة المسلمة ـ ابنة حواء أيضا ، بل وابنة الصحراء ـ انسانا كامل الأهلية : له حق الحياة والحرية والتعبير والقبول والرفض والجدال ، حتى ولو كان مع رأس الدولة ، جدالا قائما على العلم والمنطق ومغلفا بالتى هى أحسن . والخليفة العادل لم يلبث أن ينصاع الى الحق الذى بينته له امرأة من عامة رعاياه ، فما كان منه الا أن اعتلى منبر المسجد مرة أخرى ليعلن أمام الناس خطأ رأيه الأول فى تحديد صداق النساء .

لقد كان هذا يحدث فى الوقت الذى « **كتب فيه البابا جريجورى الكبير** خطابا الى أحد الأساقفة ، بدأه بقوله :

وصلنا تقرير لا نستطيع ذكره دون أن يحمر الوجه خجلا : انك تشرح قواعد النحو والصرف لبعض الأصدقاء » .

وقد علق برتراند رسل على هذا الحادث ودلالاته الخطيرة بقوله :

« لقـد اضطر الأسقف ، بحكم السلطة البابوية ، أن يكف عن القيام بهذا العمل الشرير ! ان اللسـان اللاتينى لم يسـترد الحيـاة الا فى عصر النهضة »[1] .

*

ومهما يكن من شىء ، فان كارن ارمسترونج هى الأجدر بالكتابة عن أوضـاع المرأة فى المسيحية ، لاعتبارات منها :

انها ابنة الكنيسـة ...

وانها ابنة الحضارة الغربية ...

فلطالما كان المسـيح يقول فى الانجيل : « اذهبوا وتعلموا ما هو . انى أريد رحمة لا ذبيحة ـ متى ٩ : ١٣ » وكان يردد بذلك مـا قاله هوشع فى أسفار العهد القديم (هوشع ٦ : ٦) . ولقـد ذهبت كارن وتعلمت ، ونقبت فى بطون الكتب ، وقامت بمسح شـامل لوضع المرأة فى المسيحية خلال تسـعة عشر قرنا ، فجاء كتـابها هـذا قائمـا على النصـوص والأسـانيد ، ولم يأت عبثـا أو خيـالا جامحـا كتلك المسخ الشيطانية التى تطلع علينا بين الحين والحين ، فتكتب فى أخطر الأمور ، مثل أمور الدين ، بأسلوب العبث والاسفاف الحقير ...

فلبئس ما كتبت تلك الحثالة من الكتاب ... ولبئس ما قرات لها تلك القطعان من القراء ...

*

ان ما عرضته كارن أرمسترونج عن وضع المرأة فى ظل المسيحية فى الغرب ، يجعل الضمير الانسـانى ينتفض صارخا :

« يا حسرة على العباد » !

* *

(1) B. Russel : Why I am not a Chrisitian ? p. 19.

مكانة المرأة فى الاسلام

● **آدم هو المسئول عن الخطيئة البشرية الأولى :**

رأينا كيف جعل **الكتاب المقدس** المرأة هى المسئولة عن الخطيئة البشرية الأولى ، فقد القى آدم اللوم عليها ، فقال لربه : « المرأة التى جعلتها معى ، هى أعطتنى من الشجرة فأكلت » . واعترفت المرأة لربها أنها كانت البادئة بالمعصية بعد أن أغوتها الحية ، فقالت : « الحية غرتنى فأكلت » .

وهكذا حملت اليهودية المرأة مسئولية هذه الخطيئة البشرية الأولى ، وعلى خطاها سار بولس ، فوضع المسئولية فى رقبة المرأة ، ودافع عن الرجل الأول ـ آدم ـ واعتبره لم يتعد ، فقال : « آدم لم يغو ، لكن المرأة أغويت ، فحصلت فى التعدى » .

ولقد كان لهذه الأقاويل آثارها المدمرة على مكانة المرأة ومنزلتها فى اليهودية والمسيحية . ولما كان بولس هو المسئول ـ كما رأينا ـ عن اختراع فكرة الخطيئة الأصلية المتوارثة فى بنى آدم ، فقد ذاقت المرأة فى المسيحية ـ مسيحية بولس ـ الكثير والكثير عبر القرون .

وحين نأتى الى الاسلام نجده مخالفا تماما لما تقول به اليهودية والمسيحية من تحميل المرأة وزر الخطيئة الأولى وما ترتب عليها من شقاء . فالقرآن يحدد ـ بصريح العبارة ـ مسئولية آدم عن ذلك ، وان شاركته امرأته المعصية بالأكل من الشجرة المحرمة ، بعد أن استجاب آدم ثم امرأته لوسوسة الشيطان ، طمعا فى الخلد وملك لا يبلى :

﴿ ولقد عهدنا الى آدم من قبل فنسى ولم نجد له عزما . واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس أبى . فقلنا يا آدم ان هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى . ان لك ألا تجوع

فيهـا ولا تعرى . وانك لا تظمأ فيها ولا تضحى . فوسوس اليه الشيطان قال يا آدم هـل ادلك على شـجرة الخلد وملك لا يبلى . فاكلا منهـا فبدت لهما سوءاتهما وطفقـا يخصفان عليهما من ورق الجنـة ، وعصى آدم ربه فغوى (طه : ١١٥ ــ ١٢١) .

لقد نسى آدم وعصى ، وتبعته امراته فعصت معه ، ولهذا كان هو المسئول الأول ...

*

هذا ، ولقد جاءت قصة آدم وابليس والعداوة بينهما فى سـبع سـور من القرآن هى ، حسب ترتيب المصحف ، كالآتى : البقرة ــ الأعراف ــ الحجر ــ الاسراء ــ الكهف ــ طه ــ ص .

كما جاء ذكر الحديث عن معصية الأكل من الشجرة المحرمة فى ثلاث سور هى : البقرة ــ الأعراف ــ طه .

وبتدبر ما جاء فى القرآن العظيم ، وما جاء فى الكتاب المقـدس خاصـا بآدم وزوجه وابليس والمعصية البشرية الأولى ، نلاحظ الآتى :

١ ــ كان ابليس أول العصاة فى هذه القضية ، فلم يطع أمر الله بالسـجود لآدم ، فقـد : **﴿ ابى واستكبر وكان من الكافرين ﴾** (البقرة : ٣٤)

٢ ــ وكان ابليس ، وفق منطقه المعوج ، يتصور نفسـه أفضـل من آدم بحكم مصدر تخليقه ، فهو قد جاء من نار ، أى من شىء ذى طبيعة طاقية يعبر عنها ــ الآن ــ بالاهتزازة وطول الموجة ، وأما آدم فقد جاء من طين مر بمراحل منتنة ، أى من شىء ذى طبيعة مادية يعبر عنـه بالأبعاد والأثقال وشغل حيز من الفراغ .

ومن هذا المنطلق الجهول ، قـال : **﴿ انا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين ﴾** (الأعراف : ١٢) .

﴿ لم اكن لأسجد لبشر خلقته من صلصال من حمأ مسنون ﴾ (الحجر : ٣٣)

﴿ أأسجد لمن خلقت طينا ﴾ ؟! (الاسراء : ٦١) .

ولقد حول العلم الحديث اليوم ، المادة الى طاقة ، ومن جزء ضئيل جدا من المادة تتحرر طاقة هائلة ، كما حدث على الأرض فى القنابل الذرية والتفاعلات النووية ، وكما يحدث فى الكون ، حيث تبقى الحياة على هذه الأرض ـ بأمر الله ـ وفق ما تستقبله من طاقات متنوعة من الشمس فى صورة ضوء وحرارة واشعاعات أخرى .

٣ ـ كان ابليس هذا من الجن الذين خلقوا قبل آدم وذريته :

﴿ ولقد خلقنا الانسان من صلصال من حمأ مسنون . والجان خلقناه من قبل من نار السموم ﴾ (الحجر ٢٦ ، ٢٧) .

﴿ واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه ﴾ (الكهف : ٥٠) .

فهو من طبيعة نارية ، والنار تشاهد بألوان متدرجة الحرارة ، ففيها الأحمر والأزرق والأبيض ...

ولهذا قال المسيح : « رايت الشيطان ساقطا مثل البرق من السماء ـ لوقا ١٠ : ١٨ » .

٤ ـ سمى القرآن هذا المخلوق الجنى ـ الذى كان أول العصاة فى هذه القضية ـ باسمه ، وهو : ابليس ، كما جاء فى السور السبع ، كالآتى : البقرة : ٣٤ ، الأعراف : ١١ ، الحجر : ٣١ ، الاسراء : ٦١ ، الكهف : ٥٠ ، طه : ١١٦ ، ص : ٧٤

ولم ينعته بالشيطان ، الا بعد عصيانه وطرده من رحمة الله ، كما جاء فى : البقرة : ٣٦ ، الأعراف : ٢٠ ، الاسراء : ٦٤ ، طه : ١٢٠

فهو قد استشاط حقـدا على آدم وتأججت نيرانه ، فكان بعض ما نفثه برهان عداوة أبدية بينه وبين آدم وذريته ، اذ قال لربه :

﴿ **أرأيتك هـذا الذى كرمت على لئن اخرتن الى يوم القيـامة لاحتنكن ذريته الا قليـلا** ﴾ (الاسراء : ٦٢) .

﴿ **رب بمـا أغويتنى لأزينن لهم فى الأرض ولأغوينهم أجمعين . الا عبادك منهم المخلصين** ﴾ (الحجر : ٣٩ ، ٤٠) .

لقد استشاط ، وشـاط أوكاد ، فصار الشيطان .

٥ ــ استخدم القرآن الفعل : وسوس ، وهو فعل رباعى يدل على تكرار الحدث لتكرار المقطع . فكانت معصية آدم ، ومن ورائه امرأته ، بعد محاولات متكررة من الشيطان ، بدأها بآدم :

﴿ **فوسوس اليه الشـيطان قال يا آدم هـل ادلك على شـجرة الخلد وملك لا يبلى** ﴾ (طه : ١٢٠) .

ولعله وسوس الى امرأة آدم على انفراد ، لكن المؤكـد أنه فى احدى محاولاته المتكررة وسوس لهما معا ، واستطاع أن يخدعهما وهما بعـد بريئين طاهرين ، حين أقسم لهما بالله على صـدق دعواه ، فنسى آدم تعاليم ربه ، وأكل هو وزوجه من الشجرة المحرمة :

﴿ **فوسوس لهما الشيطان ليبدى لهما ما وورى عنهما من سوءاتهما وقال ما نهاكما ربكما عن هـذه الشجرة الا ان تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين . وقاسمهما انى لكما لمن الناصحين** ﴾ (الأعراف : ٢٠ ، ٢١)

٦ ــ ومهما يكن من شىء ، فان الله برحمته الواسـعة ، قبل توبة آدم وزوجه ، بعد أن اعترفا بالذنب ، وندما على المعصـية ، وطلبـا الغفران :

﴿ قالا ربنا ظلمنا انفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين ﴾ (الأعراف : ٢٣) .

﴿ فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه ، انه هو التواب الرحيم ﴾ (البقرة : ٣٧)

وخلاصة القول فى هذه الخطيئة البشرية الأولى ، ما قاله القرآن فى آيتين اثنتين فقط :

﴿ وعصى آدم ربه فغوى . ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى ﴾ (طه : ١٢١ ، ١٢٢)

ليس فى الاسلام ، اذن ، قول بتوارث خطيئة لآدم يتناقلها الأحفاد عن الأجداد ، فما جاءت مثل تلك المزاعم الا فى مسيحية بولس ، والمسيح منها براء .

ان المسئولية ــ فى الاسلام ــ فردية ، وهو ما يتفق وعدل الله :

﴿ كل نفس بما كسبت رهينة ﴾ (المدثر : ٣٨) .

﴿ ألا تزر وازرة وزر اخرى . وان ليس للانسان الا ما سعى . وان سعيه سوف يرى . ثم يجزاه الجزاء الأوفى . وأن الى ربك المنتهى ﴾ (النجم : ٣٨ ــ ٤٢)

﴿ يا ايها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوما لا يجزى والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئا ، ان وعد الله حق ، فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور ﴾ (لقمان : ٣٣) .

٧ ــ وأخيرا ، وليس آخرا ، ما هى حقيقة العدو الأول لآدم : هل هى الحية ، كما يقول الكتاب المقدس ، أم هو ابليس الشيطان ، كما يقول القرآن العظيم ؟ للاجابة على هذا السؤال الهام ، نستعرض ما بين أيدينا من نصوص ومعلومات ، ثم لننظر ماذا يكون المقال .

تصنف التراجم الحديثة ــ مثل الفرنسية المسكونية(١) ــ خلق

---

(١) كتب الشريعة الخمسة .

العالم حسب روايتين : الرواية الأولى ، وتنسب الى **المصدر الكهنوتى** ، وقد جاءت فى الاصحاح الأول من سفر التكوين ، ومطلع الاصحاح الثانى منه (أى أنها تشتمل على ١ : ١ ــ ٣٢ ، ٢ : ١ ــ ٤) .

أما الرواية الثانية ، فتنسب الى **المصدر اليهودى** ، وقد اشتملت على بقية الاصحاح الثانى ، ثم الاصحاح الثالث بالكامل (٢ : ٤ ــ ٢٥ ، ٣ : ١ ــ ٢٤) .

وقد جاء فى هاتين الروايتين :

ــ « عمل الله وحوش الأرض كأجناسها والبهائم كأجناسها وجميع دبابات الأرض كأجناسها ــ ١ : ٢٥ » .

ــ « هذه مبادىء السموات والأرض حين خلقت . يوم عمل الرب الاله الأرض والسموات كل شجر البرية لم يكن بعد فى الأرض وكل عشب البرية لم ينبت بعد لأن الرب الاله لم يكن قد أمطر على الأرض .. وجبل الرب الاله آدم ترابا من الأرض ونفخ فى أنفه نسمة حياة ، فصار آدم نفسا حية .

وغرس الرب الاله جنة فى عدن شرقا ، ووضع هناك آدم الذى جبله ــ ٢ : ٤ ــ ٨ » .

ــ « وكانت الحية أحيل جميع حيوانات لبرية التى عملها الرب الاله . فقالت للمرأة : أحقا قال الله لا تأكلا من كل شجر الجنة ؟ فقالت المرأة للحية : من ثمر شجر الجنة نأكل . وأما من ثمر الشجرة التى فى وسط فقال الله لا تأكلا منه ولا تمساه لئلا تموتا .

فقالت الحية للمرأة : لن تموتا . بل الله عالم أنه يوم تأكلان منه تنفتح أعينكما وتكونان كالله عارفين الخير والشر .

فرأت المرأة أن الشجرة جيدة للأكل .. فأخذت من ثمرها وأكلت ، وأعطت رجلها أيضا معها فأكل ــ ٣ : ١ ــ ٦ » .

ـ وبالنسبة للعقوبة التى استحقتها الحية : « قال الرب الاله للحية : لأنك فعلت هذا ، ملعونة أنت من جميع البهائم ومن جميع وحوش البرية • على بطنك تسعين وترابا تأكلين كل أيام حياتك ـ ٣ : ١٤ » •

فمن كل ما سبق يتضح أن الحية التى أغرت حواء ودفعت بها وبزوجها آدم الى ارتكاب الخطيئة البشرية الأولى ، كانت هى الحية الزحافة المعروفة التى تدب على الأرض • هى حيوان وليست مخلوقا شيطانيا ذا طبيعة طاقية كالجان وغيره •

فماذا يقول المفسرون ازاء هذا المأزق ؟

تقول **كتب الشريعة الخمسة** : « تمثل الحية هنا كائنا يقاوم الله ويعادى الانسان ، وهو العدو والشيطان فى نظر سفر الحكمة ثم فى العهد الجديد والتقليد المسيحى » •

ان هذا تعسف واضح ، فعندما يقال ان الحية هى الشيطان ، فان هذا اجتراء على الحق واستخفاف بالعقول ، أهون منه أن يقال : الماء تراب ، وذلك لأنهما ينتميان الى طبيعة مادية واحدة ، تتكون من تراكب الذرات والجزيئات •

ولمعرفة مصدر هذه المشكلة ، لنتذكر ما **تقوله كتب الشريعة الخمسة** عن مصادر سفر التكوين : « لم يتردد مؤلفو الكتاب المقدس ، وهم يروون بداية العالم والبشرية أن يستقوا معلوماتهم بطريقة مباشرة أو غير مباشرة من تقاليد الشرق الأدنى القديم ، ولا سيما من تقاليد ما بين النهرين ومصر والمنطقة الفينيقية الكنعانية • فالاكتشافات الأثرية منذ نحو قرن تدل على وجود كثير من الأمور المشتركة بين الصفحات الأولى من سفر التكوين وبين بعض النصوص الغنائية والحكمية والليترجية الخاصة بسومر وبابل وطيبة وأوغاريت ، ولا عجب فى ذلك » (ص ٦٦) •

وتقول **الترجمة الفرنسية المسكونية** تعليقا على العبارة التى تقول : « وكانت الحية أحيل جميع حيوانات البرية » ، ما يأتى :

« لقد كانت الحية تلعب دورا كبيرا فى الشرق القديم ، مثل قوة للاخصاب (فى كنعان) ، وكقوة سياسية (فى مصر) • وفى الملحمة البابلية المشهورة للبطل جلجامش ، فانها تسترق منه نبات الخلود • وبسبب دهائها فى الغواية ، فسيحصل الرجل والمرأة على معرفة تكشف لهما عن عورتيهما » •

وهكذا ، منذ البدء ، اختلطت الحقائق بالأساطير •••

لقد أعلن المسيح أن الذى بدأ القتال ضد البشرية منذ نشأتها كان هو الشيطان ، فقال محاجا اليهود :

« أنتم من أب هو **ابليس(١)** وشهوات أبيكم تريدون أن تعملوا • **ذاك كان قتالا للناس من البدء** ــ يوحنا ٨ : ٤٤ » •

فذاك الذى كان قتالا للناس من البدء ــ حسب قول المسيح ــ انما هو ابليس الذى صار يعرف ــ بعد تمرده وفسقه عن أمر الله وعداوته الشديدة لآدم وأهله ــ باسم الشيطان • واذا كانت بعض الحيات تهتز بسرعة كاهتزازة الجان ، ومثلها مثل عصا موسى التى **« رآها تهتز كأنها جان »(٢)** واذا كان العرب قد دعوا بعض تلك الحيات باسم الشيطان ، فلا يمكن مساواة الحقيقة بالمجاز ، واعتبار الحية ، ذلك الحيوان الزاحف ، بأنها ابليس أو الشيطان ، ذلك المخلوق الجنى النارى •

انّ ريتشارد الصليبى ــ ملك انجلترا ــ الذى جاء فى القرن الثانى

---

(١) المفروض أن يقال : « انتم من اب هو الشيطان » ، وذلك مقارنا بالتراجم الانجليزية التى تستخدم كلمة Devil (A. V. and R. S. V.) والتراجم الفرنسية التى تستخدم كلمة : « Diable (T. O. B.) »

(٢) القصص : ٣١

عشر الميلادى ليسفك الدماء على أرض فلسطين ويقتل فى يوم واحد ٢٧٠٠ أسيرا بالاضافة الى زوجاتهم وأطفالهم فى مذبحة عكا الشهيرة[1] فى أغسطس سنة ١١٩١ ، كان انسانا يمشى على رجلين ، ولم يكن أسدا يمشى على أربع ، رغم شهرته الواسعة بأنه ريتشارد قلب الأسد ، بحيث لو طرح السؤال : من هو قلب الأسد ؟ لكانت الاجابة : ريتشارد ملك انجلترا ، فحين تتعلق الأمور بكلام الله ، لا بد من تحرى الحقيقة وتخليصها من الأباطيل والأوهام ، والفصل التام بين الحقيقة والمجاز .

والنتيجة التى لا مفر من التسليم بها هو أن قصة سقوط آدم وطرده وزوجه من الجنة ، فى حاجة ماسة الى اعادة كتابة تستبعد منها **الحية** ، وتضع بدلها **الشيطان** ، وتجرى عليها ما تتطلبه من تعديلات . ولا أقول لكى تتفق فى هذا مع القرآن ، فانى أعلم أن الأغلبية الساحقة من غير المسلمين تستكبر عن الحق وخاصة اذا جاء من عند غيرهم ، ولكن أقول : لكى تتفق مع قول المسيح .

وما هذا التعديل الذى لا مفر منه بأخطر من تعديلات أخرى أدخلت على نصوص الكتاب المقدس ، ويأتى فى مقدمتها حذف فقرة التثليث من رسالة يوحنا الأولى (٥ : ٧) .

وأما الذين يستمعون الى الحق ، فأقول لهم ان هذا الوضع الذى نحن بصدده ، انما هو تفسير ملموس لقول **الحق** فى القرآن العظيم ، مخاطبا نبيه :

﴿ وأنزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه ﴾ (المائدة : ٤٨) .

(1) S . Runciman : A History of Crusades, Vol . 3,p.53.

النســـاء شـــقائق الرجـــال

ليس هذا كلامى ...

انه حديث سيدنا رسول الله ﷺ وتعاليمه للنـاس ، وهو حديث رواه أبو داوود ونصه : « انما النساء شقائق الرجال » .

وهو يكفى ، بالاضافة الى ما سـبق بيانه من مسئولية آدم عن الخطيئة البشرية الأولى ، ليكون ملخصـا لمكانة المرأة فى الاسـلام . ولكن ، لتأخذ الدراسـة مجراها ، وليستوثق الناس حقيقة الأمر بدراسة المزيد من التفاصيل .

لنبدأ ، اذن ، بحث القضية من مختلف جوانبها ، مبتدئين من الأصل والمنشأ ، ومتدرجين عبر مختلف مراحل حياة المرأة .

* *

● **المرأة أم الخليقة :**

يقول **الامام الأكبر محمود شلتوت** ـ شيخ الأزهر سـابقا ـ فى معرض حديثه عن **المرأة فى نظر الاسلام** : « ان القرآن الكريم حينمـا تحدث عن الأصـل الذى تفرع منـه الانسـان ، جعـل المرأة شريكة فيه للرجل ، ومن مجموعهما تعددت القبائل والشعوب ، وانتسبت الأفراد بالبنوة لكل من الرجل والمرأة ، وبذلك كان الرجا أبا ، وكانت المرأة أما . واعتبر القرآن الكريم ذلك نعمة على الانسـان ، توجب عليـه الشكر ، وتوجب عليه تقوى الله ومراقبته ، وتوجب عليه النظرة المستقيمة الى أخيه الانسان الذى يشاركه فى معنى الانسـانية ، وفى نسـبته الى أصله الذى تكونا منه .

ومعنى هـذا أنه لا تفاضـل بينهما من جانب الانسـانية ، وأن التفاضـل انما يكون بما يكتسـبه الانسـان من الخـلال التى ترقى

بالانسانية الى المستوى الفاضل . ولعلنا نجد هذا فى مثل قوله تعالى :

﴿ **يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء** ﴾ (النساء : ١) .

وفى مثل قوله تعالى : ﴿ **يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ، ان أكرمكم عند الله أتقاكم** ﴾ (الحجرات : ١٣)

وقد كان من فروع الاشتراك فى تلك العنصرية الانسانية ، أن سمى الرجل والدا . والمرأة والدة . وجاءت التعاليم القرآنية بوضعهما معا موضع التكريم والاجلال . وما كانت الوصايا الكثيرة التى حثت على الاحسان (**بالوالدين**) الا أثرا لهذا الأصل الذى قرره القرآن فى أصل الانسان وتكوينه :

﴿ **واعبدو الله ولا تشركوا به شيئا ، وبالوالدين احسانا** ﴾ (النساء : ٣٦)

﴿ **وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا** ﴾ [1] (الاسراء : ٢٣)

*

● **اكرام الأم اضعاف اكرام الاب :**

« والقرآن لا يقف فى هذا المقام عند حد التسوية بين (**الوالدين**) فى واجب الاحسان والاجلال ؛ بل يخطو خطوة ثانية فيرشد الى ما للوالدة من جهود مضنية فى تربية الأبناء ، **ليس شىء منها للوالد** ، وترى ذلك فى مثل قوله تعالى :

﴿ **ووصينا الانسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن وفصاله فى عامين** ﴾ (لقمان : ١٤) .

---

(١) الاسلام : عقيدة وشريعة ـ الامام الأكبر محمود شلتوت ـ ص ٢٢٠ ، ٢٢١

وفى قول الرسول ـ عليه السلام ـ جوابا عن سؤال رجل : **من أحق الناس بحسن صحابتى يارسول الله ؟**

قال : **أمك** . قال : ثم من ؟ قال **أمك** . قال : ثم من ؟ قال : **أمك** . قال : ثم من ؟ قال : أبوك »[1] .

لقد أمر الاسلام بالاحسان الى الوالدين ، **حتى لو كانا كافرين** . ويقتضى الاحسان اليهما دوام الصلة ، والخدمة والعطاء ، والكلمة الطيبة ، والدعاء بالهداية لهما ان كانا ضالين ، وبالرحمة والمغفرة فيما وراء ذلك . فالقرآن العظيم يقول :

﴿ **وان جاهداك على أن تشرك بى ما ليس لك به علم فلا تطعهما ، وصاحبهما فى الدنيا معروفا** ﴾ (لقمان : ١٥) .

ولقد اعتبر الاسلام السعى على الوالدين واكرامهما بمثابة الجهاد فى سبيل الله . فعن عبد الله بن عمر أن رجلا جاء الى النبى ﷺ يسأله بجاهد . فقال له النبى : « **احى والداك** » قال : نعم . قال : **ففيهما جاهد** » (رواه البخارى) .

ولقد كان للأم النصيب الأوفى من التكريم والرعاية والاحسان .

ففى حديث جامع لسيدنا رسول الله قال فيه : « **ان الله حرم عليكم : عقوق الأمهات ، ومنع وهات ، ووأد البنات** . وكره لكم : قيل وقال ، وكثرة السؤال ، واضاعة المال » (رواه البخارى) .

وعن أسماء ابنة أبى بكر قالت : قدمت على أمى وهى مشركة فى عهد قريش ، اذ عاهدوا رسول الله ﷺ ومدتهم مع أبيها ، فاستفتت رسول الله ﷺ فقالت : « يا رسول الله ، **ان أمى قدمت** على وهى راغبة . أفأصلها ؟ قال : **نعم . صليها** » (رواه البخارى) .

---

(١) المرجع السابق ـ ٢٢١

وكان من تعاليم النبى ﷺ أن : **الجنة تحت اقدام الأمهات**

روى أن رجلا جاء الى النبى ﷺ فسأله : « هل لك من أم » ؟ قال : نعم • فقال ﷺ : « **فالزمها ، فان الجنة تحت رجلها** » .

على أن دراستنا المقارنة هذه ، تتطلب وقفات بين الحين والحين لبيان ما بين اليهودية والمسيحية والاسلام من اتفاق فى أمور وخلاف فى أمور أخرى • ووقفتنا الآن للتذكير بتعاليم المسيح فى الانجيل :

« كان جموع كثيرة سائرين معه ، فالتفت وقال لهم : **ان كان أحد يأتى الى ولا يبغض أباه وامه** وامرأته وأولاده واخوته وأخواته ، حتى نفسه أيضا ، **فلا يقدر أن يكون لى تلميذا** — لوقا ١٤ : ٢٥ — ٢٦ » !

❋

● **الترحيب بالأنثى منذ ولادتها :**

يرحب القرآن الكريم بالأنثى منذ مولدها ويعتبرها هبة من الله تماثل هبة الذكر تماما ، بل انه ليجعلها فى الترتيب سابقة للذكر • فانجاب الاناث والذكور ، أو عدم الانجاب ، هى أمور بيد الله الخلاق العليم القدير •

﴿ **لله ملك السموات والأرض ، يخلق ما يشاء ، يهب لمن يشاء اناثا ويهب لمن يشاء الذكور • أو يزوجهم ذكرانا واناثا ، ويجعل من يشاء عقيما ، انه عليم قدير** ﴾ (الشورى : ٤٩ ، ٥٠) •

وكل هبة من الله ونعمة تتطلب الحمد والشكر • ولا يكون الشكر مجرد كلمات جوفاء تتردد ، بل انه يتمثل فى الحفاظ عليها ورعايتها وتنميتها وحسن استخدامها • فالزوجات والأبناء والحفدة ، كلها من نعم الله التى تستوجب الشكر :

﴿ **والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة ورزقكم من الطيبات ، أفبالباطل يؤمنون وبنعمة الله هم يكفرون** ﴾ (النحل : ٧٢)

❋

ولقد سفه القرآن أعداء الأنثى ، فى كل زمان ومكان ، سواء أكانوا من عرب الصحراء ، أو ممن سكنوا القصور وعاشوا فى السهول الخضراء • أولئك الذين ساءهم انجاب الاناث ، وبلغ السفه أوجه حين كان الأب يئد ابنته ، فيدسها فى التراب حية حتى تموت • وفى هذا يقول :

﴿ **واذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم • يتوارى من القوم من سوء ما بشر به ، أيمسكه على هون أم يدسه فى التراب ، ألا ساء ما يحكمون** ﴾ (النحل : ٥٨ ، ٥٩) •

ثم يوم القيامة يخزيهم الله ويعاقبهم لقتل بناتهم الصغيرات دون ذنب جنينه : ﴿ **واذا الموءودة سئلت • بأى ذنب قتلت** ﴾ (التكوير ٨ ، ٩)

﴿ **قد خسر الذين قتلوا أولادهم سفها بغير علم وحرموا ما رزقهم الله افتراء على الله ، قد ضلوا وما كانوا مهتدين** ﴾ (الأنعام : ١٤٠) •

* *

● **حق الأنثى فى التربية والتعليم :**

الاسلام دين العلم ، فكانت أول آية نزلت من كتاب الله : « **اقرا** » ، وسمى كتاب الله : « **قرآنا** » •

والاسلام دين الخلق العظيم ، به مدح الله نبيه فقال : ﴿ **وانك لعلى خلق عظيم** ﴾ (القلم : ٤) •

وقال أسامة بن شريك : قلنا : يا رسول الله • ما خير ما أعطى الانسان ؟ فقال : « **خلق حسن** » (رواه ابن ماجه) •

وقال النبى ﷺ : « **أثقل ما يوضع فى الميزان خلق حسن** » (رواه أبو داود والترمذى)

ومنذ بدأ رسول الله يدعو الناس الى الاسلام ، تضمنت دعوته الحض على حسن التربية ، وطلب العلم ، للرجال والنساء على السواء ،

بل وللاماء والعبيد مع الحرائر والسادة سواء بسواء • واقترنت دعوته هذه بالتطبيق العملى أسوة بكل تعاليمه ووصاياه •

لقد علم رسول الله الناس أن تربية البنات تربية حسنة ليس لها من جزاء فى الآخرة الا الجنة ، والنجاة بذلك من النار •

فقد قالت عائشة رضى الله عنها : جاءتنى امرأة معها ابنتان تسألنى ، فلم تجد عندى غير تمرة واحدة فأعطيتها ، فقسمتها بين ابنتيها ، ثم قامت فخرجت • فدخل النبى ﷺ فحدثته . فقال : **« من بلى من هذه البنات شيئا ، فأحسن اليهن ، كن له سترا من النار »** (رواه البخارى)

وعن أبى بردة عن النبى ﷺ قال : « ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين : **الرجل تكون له الأمة ، فيعلمها فيحسن تعليمها ، ويؤدبها فيحسن أدبها ، ثم يعتقها ، فيتزوجها ، فله اجران** ومؤمن أهل الكتاب الذى كان مؤمنا، ثم آمن بالنبى ﷺ فله أجران • والعبد الذى يؤدى حق الله وينصح لسيده فله أجران » (رواه البخارى) •

وقال رسول الله ﷺ : « طلب العلم فريضة على كل مسلم •••• » (أخرجه ابن ماجه)

وكانت النساء يحتشدن لسماع النبى ﷺ والصلاة الجامعة معه ، من أجل التعلم •• ومن أجل التزاحم خصص النبى لهن بابا يسمى حتى الآن ، فى مسجد الرسول بالمدينة (باب النساء) •

ذكر **البلاذرى فى فتوح البلدان** نساء مسلمات تعلمن القراءة والكتابة ، يبلغ عدد المعروف منهن **نصف** عدد المعروف من الرجال الكتاب •

وروى أن الشفاء العدوية (من قبيلة بنى عدى رهط عمر بن الخطاب) طلب اليها النبى ﷺ أن تعلم زوجه ــ أم المؤمنين ــ حفصة بنت عمر بن الخطاب ، تحسين الخط وتزيين الكتابة . وكانت أم المؤمنين عائشة بنت أبى بكر ، وأم المؤمنين أم سلمة ، رضى الله عنهما ، تقرآن ، وان لم تكتسبا مهارة الكتابة »[1] .

❊

● **المراة اهل للمسئولية الكاملة :**

يقول الامام الأكبر محمود شلتوت : « ان الاسلام يقرر أيضا فى تربية الفطرة التى خلقت عليها المرأة ، وهى (**الانسانية ذات العقل والادراك والفهم**) أن المرأة ذات مسئولية مستقلة عن مسئولية الرجل : مسئولة عن نفسها ، وعن عبادتها ، وعن بيتها ، وعن جماعتها .

وهى لا تقل فى مطلق المسئولية عن مسئولية اخيها الرجل . وأن منزلتها فى المثوبة والعقوبة عند الله معقودة بما يكون منها من طاعة أو مخالفة . وطاعة الرجل لا تنفعها وهى طالحة منحرفة ، ومعصيته لا تضرها وهى صالحة مستقيمة .

﴿ ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا ﴾ (النساء : ١٢٤) .

﴿ فاستجاب لهم ربهم انى لا اضيع عمل عامل منكم من ذكر او انثى ، بعضكم من بعض ﴾ (آل عمران : ١٩٥) .

وليقف **المتأمل** عند هذا التعبير الالهى : ﴿ **بعضكم من بعض** ﴾ ، **ليعرف كيف سما القرآن بالمراة حتى جعلها بعضا من الرجل ، وكيف حد من طغيان الرجل فجعله بعضا من المراة .**

وليس فى الامكان ما يؤدى به معنى **المساواة** أوضح من هذه

---

(١) المراة فى التصور الاسلامى : عبد المتعال الجبرى ــ ص ٥٦

الكلمة التى تفيض بهـا طبيعة الرجل والمرأة ، والتى تتجلى فى حياتهما المشتركة دون تفاضل أو سلطان : ﴿ للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن ﴾ (النساء : ٣٢)[1] .

وليس أدل على مساواة المرأة فى المسئولية كالرجل سواء بسواء ، من أن للنساء حق البيعة كالرجال ؛ وهذا يعنى أهليتهن الكاملة للوفاء بمقتضيات العهود والمواثيق ، والتى تعتبر من أخطر الأمور فى الاسلام.

﴿ يا أيها النبى اذا جاءك المؤمنات يبايعنك على أن لا يشركن بالله شيئا ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن أولادهن ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن ولا يعصينك فى معروف فبايعهن واستغفر لهن الله ، ان الله غفور رحيم ﴾ (الممتحنة : ١٢) .

*

● المراة انسان :

من عبقرية اللغة العربية ، التى نزل بها القرآن ، أن كلمة انسان تطلق على الذكر والأنثى سواء بسواء . فلا يقال فى العربية ، انسانة ، انما انسان فقط . ومثل ذلك كلمة زوج ؛ فالرجل زوج المرأة ، والمرأة زوج الرجل .

وتلك هى اللغة العالية التى جاء بها القرآن ، فى مثل قوله :

﴿ وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة ﴾ (البقرة : ٣٥) .

﴿ فاستجبنا له ووهبنا له يحيى واصلحنا له زوجه ﴾ (الأنبياء : ٩٠)

وعلى هذا ، فان كل خطاب للانسان ، أو حديث عنه ، أو تكليف له فى القرآن ، انما يعنى لزاما الذكر والأنثى ، سواء بسواء .

---

(١) الاسلام : عقيدة وشريعة ـ ص ٢٢٣ ، ٢٢٤

ولنقرأ على ضوء هذا قول الحق : ﴿ **الرحمن . علم القرآن . خلق الانسان . علمه البيان** ﴾ (الرحمن : ١ ــ ٤) .

فالرجل والمرأة من خلق الله ، والبيان خاصية يتميز بها الانسان : الذكر والانثى ، عن مخلوقات أخرى كثيرة .

﴿ **ووصينا الانسان بوالديه حسنا** ﴾ (العنكبوت : ٨) .

فالوصية للذكر والأنثى .

﴿ **وان ليس للانسان الا ما سعى . وأن سعيه سوف يرى . ثم يجزاه الجزاء الأوفى . وأن الى ربك المنتهى** ﴾ (النجم : ٣٩ ــ ٤٢) .

فالحساب واقع على الذكر والأنثى لا محالة .

﴿ **وكل انسان الزمناه طائره فى عنقه ، ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا . اقرا كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا** ﴾ (الاسراء ١٣ ، ١٤)

فهذا واقع لا شك فيه ، يوم القيامة ، يتعرض له الذكر والانثى . فالمرأة ، فى كتاب الله ، انسان كامل الأهلية .

❋

● **مسئولية المرأة العامة :**

« واذا كانت المرأة مسئولة مسئولية خاصة فيما يختص بعبادتها ونفسها ، فهى فى نظر الاسلام أيضا مسئولة مسئولية عامة فيما يختص بالدعوة الى الخير ، والأمر بالمعروف ، والارشاد الى الفضائل ، والتحذير من الرذائل .

وقد صرح القرآن بمسئوليتها فى ذلك الجانب ، وقرن بينها وبين اخيها الرجل فى تلك المسئولية ، كما قرن بينها وبينه فى مسئولية الانحراف

عن واجب الايمان والاخلاص لله وللمسلمين :

﴿ **والمؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض ، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله ، اولئك سيرحمهم الله ، ان الله عزيز حكيم** ﴾ (التوبة : ٧١) .

﴿ **المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض ، يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف ويقبضون أيديهم ، نسوا الله فنسيهم ، ان المنافقين هم الفاسقون . وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم خالدين فيها ، هى حسبهم ، ولعنهم الله ، ولهم عذاب مقيم** ﴾ (التوبة : ٦٧ ، ٦٨)

ان مسئولية الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، هى أكبر مسئولية فى نظر الاسلام ، **وقد سوى الاسلام فيها بصريح هذه الآيات بين الرجل والمرأة .**

واذن ، فليس من الاسلام أن تكف المرأة عن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، **اعتمادا على ظن او وهم** أنه شأن خاص بالرجال دون النساء .

وليس من الاسلام أن تلقى المرأة حظها من تلك المسئولية على الرجل وحده بحجة أنه أقدر منها عليه ، أو أنها ذات طابع لا يسمح لها أن تقوم بهذا الواجب . فللرجل دائرته ، وللمرأة دائرتها ، والحياة لا تستقيم الا بتكاتف النوعين فيما ينهض بأمتهما ، فان تخاذلا أو تخاذل أحدهما ، انحرفت الحياة الجادة عن سبيلها المستقيم **فليعلم ذلك نساؤنا ، وليفقهن حكم الله فيهن »(١) .**

* *

● **حق المرأة فى عقد الزواج :**

لكى ندرك حقيقة عملية تحرير المرأة التى جاء بها الاسلام ،

---

(١) المرجع السابق ـ ص ٢٢٤ ، ٢٢٥

والحقوق التى اكتسبتها فى حيـاة النبى ﷺ ، علينا أن نلم بشىء مما كان عليه الحال فى الجاهلية ، ثم ما أدخله الاسلام من تشريعات •

يقول المستشار **ابراهيم فوزى** : « كان وضع المرأة الحقوقى فى الجاهلية شبيها بوضع الرقيق ، فقد كانت محرومة من جميع الحقـوق حتى من حق الحياة ، اذ كانت حياتها رهنا بمشيئة أبيهـا ، ان شـاء منحها هذا الحق ، وان شاء وأدها وهى حية منذ ولادتها •

وكانت المرأة تبقى خاضعة للولاية مدى حياتها • فقبل زواجها تكون خاضـعة لولاية أبيها أو لولاية من يليـه من العصـبات الذكور ، عندما يكون الأب متوفيا ، فاذا تزوجت انتقلت الى ولاية زوجها • وكان يحق لوليها أن يزوجها لمن يشاء ويقبض ثمنها وهو المهر ، فيتصرف بـه كما يشـاء ويريد ، ان شـاء أخـذه كله ، وان شـاء صرفه كله أو بعضه على تجهيزها •

وبالاستناد الى هذا الوضع •• فقد كان الزواج يشكل عقد معاوضة كعقد البيع ، المتعاقدان فيه هما الولى والزوج ، والمعقود عليـه هـو المرأة ، والبدل هو المهر الذى يدفعـه الرجل الى الولى مقابل تملكها •

وكان يجوز فى الجاهلية المقايضة بين امرأتين ، تكون كل واحدة مهرا للثانية ، كأن يزوج رجل ابنته أو أخته الى رجل آخر ، على أن يزوجه هذا ابنته أو أخته ، وهو ما كانوا يسمونه بنكاح الشغار ••

فى وسط تلك العادات والأعراف المتعلقة بعقـد الزواج ، جـاءت الشريعة الاسلامية فرفعت المرأة من منزلة الرقيق الذى يباع ويشرى ، الى منزلة الانسـان الحر ، فمنعت زواجها بدون ارادتها ، وألغت من عقد الزواج كل الأوصاف التى تجعل منه عقد معاوضة ••

فقد اشترطت الشريعة موافقة المرأة على زواجها ، وبدون موافقتها يكون العقد باطلا ، وأصبحت المرأة طرفا فى العقد بدلا من وليها •

روى البخارى عن امرأة (تدعى خنساء بنت خدام الأنصارية) زوجها أبوها من رجل بدون رضاها ، فأتت رسول الله ﷺ وشكت اليه أمرها ، فرد نكاحه .

وعن عبد الله بن عباس قال : جاءت فتاة بكر الى رسول الله فشكت له أن أباها زوجها من رجل وهى كارهة له ، فخيرها النبى ﷺ بين قبوله أو رفضه . (رواه أبو داود والنسائى وابن ماجه).

وعن بريدة قال : جاءت فتاة الى رسول الله ﷺ ، فقالت : ان أبى زوجنى من ابن أخيه ليرفع بى خسيسته . فجعل النبى الأمر اليها . فقالت : قد أجزت ما صنع أبى ، ولكنى أردت أن تعلم النساء أن ليس للآباء من هذا الأمر شىء . (رواه النسائى والترمذى وابن ماجه وأحمد) .

وعن السيدة عائشة ، عن النبى ﷺ أنه قال : « لا تنكح الأيم حتى تستأمر ، والبكر حتى تستأذن » فقالت عائشة : يا رسول الله ، البكر تستحى . قال : « رضاها صمتها » . (رواه البخارى) .

وفى حديث آخر أن النبى ﷺ قال : « ليس للثيب مع الولى أمر » . (رواه النسائى وأبو داود) .

❋

ولم تعتبر الشريعة الاسلامية المهر ثمنا للمرأة كما كان فى الجاهلية، وانما اعتبرته هبة من الرجل أو هدية ، وسمته (صداقا) كما نصت عليه الآية : ﴿ **وآتوا النساء صدقاتهن نحلة** ﴾ (**النساء : ٤**)

يقول **الطبرى** فى تفسير هذه الآية : كان الرجل فى الجاهلية اذا زوج ابنته أخذ مهرها ، فنهاهم الله عن ذلك ، ونزلت الآية : ﴿ **وآتوا النساء صدقاتهن نحلة** ﴾ .

وقد حرمت الشريعة الاسلامية نكاح الشغار الذى يقوم على مقايضة امرأة بامرأة أخرى ، فقال النبى ﷺ : « لا شغار فى الاسلام » (رواه الستة) .

*

وكان الجاهليون يعتبرون المهر .. ثمن المرأة ، وكانوا يغالون فيه فيعتبرونه علامة شرف .. فجاءت الشريعة الاسلامية (وخففت من غلوائهم) ..

فقال النبى ﷺ لرجل لم يكن عنده شىء يدفعه مهرا لخطيبته : « التمس ولو خاتما من حديد » . (رواه البخارى ومسلم) .

وفى حديث آخر أن النبى ﷺ ، قال لرجل لم يجد مهرا لخطيبته : « ما معك من القرآن » ؟ قال : معى سورة كذا ، وكذا ...

قال : « أتقرؤهن عن ظهر قلب » ؟ ... قال : نعم .

قال : « اذهب ، فقد زوجتكها بما معك من القرآن » . (رواه البخارى ومسلم) .

وقد رويت أحاديث عديدة عن النبى ﷺ كان يحض فيها على المهر اليسير ، فقال : « خير الصداق أيسره » (رواه أحمد) ..

لقد أطلقت (الشريعة الاسلامية) على المهر اسم : صداق أو نحلة ؟ بمعنى الهبة أو الهدية ، لكى تزيل من الأذهان الاعتقاد بأنه ثمن المرأة ، ولأن الهدية تعبير عن المودة والمحبة ، فقال النبى ﷺ : « تهادوا تحابوا »[1] (رواه البخارى) .

*

ويقول الامام الأكبر محمود شلتوت عن حق المرأة فى عقد زواجها :

---

(١) أحكام الاسرة فى الجاهلية والاسلام : ابراهيم فوزى ـ ص ٤٣ ـ ٤٦

« ما دام القرآن هو المصدر الأول للتشريع الاسلامى ، فانا اذا رجعنا اليه وجدناه يضيف بصريح العبارة هذا التصرف أيضا الى المرأة نفسها • ووجدناه فى الوقت نفسه يحذر الرجال أن يمنعوا المرأة من هذا الحق :

﴿ فان طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره ﴾
(البقرة : ٢٣٠)

﴿ واذا طلقتم النساء فبلغن اجلهن فلا تعضلوهن ان ينكحن ازواجهن اذا تراضوا بينهم بالمعروف ﴾ (البقرة : ٢٣٢) •

﴿ فاذا بلغن اجلهن فلا جناح عليكم فيما فعلن فى انفسهن بالمعروف ﴾
(البقرة : ٢٣٤)

وقد صحت الأحاديث الكثيرة فى وجوب استئذان المرأة عند زواجها ، وحتمت على الثيب أن تصرح بالاذن ، واكتفت من البكر ترخيصا لها أن تجرى على عادتها فى الحياء الذى يمنعها من التصريح ، وأن يكون منها ما يدل على الرضا ، **فالحق حقها ، والشان شانها ..**

وقال **ابن القيم فى هذا المقام** : (وهذا ــ يريد رضاها بالزواج وعدم اجبارها ــ هو ما ندين الله به ولا نعتقد سواه ، وهو الموافق لحكم رسول الله ، وأمره ونهيه ، وقواعد شريعته ، ومصالح أمته) ... الى أن قال : (ان البكر البالغة العاقلة الرشيدة لا يتصرف أبوها فى أقل شىء من ملكها الا برضاها ، ولا يجبرها على اخراج اليسير منه الا باذنها • فكيف يجوز أن يخرج نفسها منها بغير رضاها ؟! ومعلوم أن اخراج مالها كله بغير رضاها أسهل عليها من تزويجها بمن لا تختاره) •

هذا هو حق المراة فى العقود والتصرفات مدنية أو شخصية ، كما يدل عليه القرآن ، وكما يدل عليه سنة الرسول وقضاؤه ، وكما تقضى به اصول الشريعة الاسلامية .

وكان من لوازم تحميل الاسلام المرأة مسئوليات الحياة ، عامةوخاصة، **أن يفسح أمامها مجال العلم ، ومجال العمل ، وقد تعلمت وعملت .** وعرفنا المرأة الأديبة والطبيبة والفقيهة والمتصوفة القانتة ، وما اليهن من كل ما عرف مثله عن أخيها الرجل .

وكان كل ذلك أثرا لانسانيتها المساوية لانسانية الرجل ، وقد ظهر ذلك فى كثير من نواحى التشريع الاسلامى »(١) .

* *

المرأة زوجة

● **الزواج سكينة ومودة :**

يقول الامام الأكبر محمود شلتوت : « ان الانسان من جهة أخرى ، مطبوع على حب البقاء ، واذا كان لا سبيل الى بقائه بذاته ، وكان يؤمن بذلك من مشاهداته ، وصنيع الله فى آبائه وأجداده وسائر الأحياء ، فانه يرى أن سبيله الى البقاء انما هو النسل المعروف نسبته اليه ، يراه امتدادا فى بقائه ، واستمرارا لذكراه ، وخلودا لحياته ..

واذا كان الانسان محتاجا فى بقائه الى أبنائه وأحفاده ، وكان الزواج وحده هو السبيل اليهم ، **فهو فى راحته القلبية ، وسكنه الى القلب الذى يحنو عليه ويشاركه السراء والضراء ، اشد حاجة من حاجته الى هؤلاء الأحفاد** الذين لا ينعم بهم الا مع سكون القلب ، واطمئنان النفس ، وراحة الضمير . والى ذلك يشير قوله تعالى :

﴿ ومن آياته ان خلق لكم من أنفسكم ازواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة ، ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون ﴾
(الروم : ٢١)

ولعل كل ذلك الذى تقرره فى ثمرات الزواج من جانبى **البقاء والمودة ،** هو قرة العين التى أطلق الله لسان عباده المقربين بدعائهم

---

(١) الاسلام : عقيدة وشريعة ـ ص ٢٣٢ ـ ٢٣٤

ايـاه بها : ﴿ **والذين يقولون ربنا هب لنا من ازواجنا وذرياتنا قرة اعين** ﴾ (الفرقان : ٧٤)

❋

● **الزواج ميثاق غليظ :**

وقد نظر القرآن الكريم الى ما للزواج من هذه المكانة السامية فى حياة الفرد والأسرة والأمة ، فنوه بشأنه ، ورفعه عن أن يكون عقـدا تتم التزاماته بالايجاب والقبول وشهادة الشـهود ، فجعله (**ميثاقا**) تتحمل الضمائر التى تعرف معنى الميثاق مسئوليته ، وتكافح جهدها فى سبيل المحافظة عليه ، والوفاء به مما قد يعترضه من شدائد وصعوبات .

ثم لا يكتفى بجعله (**ميثاقا**) كيفما يكون ، تعتريه الرقة وخفـة المـيزان ، فيتعرض للنقض كلمـا أراد عابث أو مأفون ، بل جعـله (**ميثاقا غليظا**) وعهدا قويا يتعذر حله ، فيربط القلوب ، ويحفظ المصالح ، ويندمج به كل من الطرفين فى صـاحبه ، فيتحد شـعورهما وتلتقى رغباتهما .. واقرأ فى ذلك قوله تعالى :

﴿ **وان أردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم احداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيئا ، أتأخذونه بهتانا واثما مبينا . وكيف تأخذونه وقـد افضى بعضـكم الى بعض وأخـذن منكم ميثـاقا غليظا** ﴾ .
(**النساء** : ٢٠ ، ٢١)

ثم تدبر فى ذلك ما يوحى اليه قوله تعالى ، فى شأن العلاقة الزوجية: ﴿ **هن لباس لكم وانتم لباس لهن** ﴾ (البقرة : ١٨٧) .

تدبر ايحاء ذلك لتعلم أن العلاقة الزوجية أسمى فى معنى الترابط والاندماج من علاقات الصداقة والأبوة والبنوة ، وأنها ليست كما يظن من لا يفهمون حقيقتها ولا يعرفون وضعها فى الحياة ، عقدا كسائر العقود ثمراتها فى الانتفاع والملك والتسخير . وأعتقد أن الذين يضعون العلاقة الزوجية هذا الوضع ، هم قوم لم يشرق على قلوبهم النور الوضـاء

المنبعث من قوله تعالى : ﴿ **ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف** ﴾ .
(البقرة : ٢٢٨)

واذا كان المتتبع لكلمة (ميثاق) ومواضعها التى وردت فيها (فى القرآن) ، لا يكاد يجدها تأخذ مكانتها فى التعبير القرآنى الا حيث يأمر الله بعبادته وتوحيده ، والأخذ بشرائعه وأحكامه ، فانه يستطيع ــ وقد جاءت فى شأن الزواج ــ أن يدرك عن طريق قريب ، المكانة السامية التى وضع الله الزواج فيها ، وجعله فى التعبير عنه صنوا للايمان بالله وشرائعه وأحكامه .

هذه مكانة الزواج فى سنن الجماعة البشرية ، وفى حكم الله وكتابه ، ومنها يعلم مقدار جرم المعرضين عن الزواج فى حق أنفسهم وحق أمتهم وانسانيتهم ، **وجرم هؤلاء الآخرين الذين يتخذونه ملهاة بها يعبثون ، أو عقد بيع أو شراء به يسخرون ويستعبدون** »(١) .

*

ان المرأة سكن للرجل ، يجد فيها راحته ورضاء نفسه ... والرجل سكن للمرأة ، تأمن فى كنفه ، وتسعد بجواره . . . وبين الزوجين تكون علاقات نفسية وجسدية ذات طابع خاص ، لا مثيل لها فى سائر العلاقات الأخرى . ومن ثم لا مجال هنا للحديث عن سيادة أو تسلط أو امتلاك ...

فهناك علاقة عقلية يحكمها العدل :

﴿ **ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف** ﴾ (البقرة : ٢٢٨) .

﴿ **فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة** ﴾ (النساء : ١٢٩) .

وهناك علاقة عاطفية تفيض مودة ورحمة :

﴿ **وجعل بينكم مودة ورحمة** ﴾ (الروم : ٢١) .

انها ، اذن ــ علاقات متبادلة ومتوازنة ...

---

(١) المرجع السابق ــ ص ١٤٢ ــ ١٤٨

ومع ذلك ، فقد عاد القرآن ليؤكد ضرورة مراعاة المرأة ومعاشرتها بالمعروف • فاذا كان الزواج قد جاء نتيجة حب ، أو جاء الحب بعد الزواج ، فان خبرات الحياة تؤكد أن عوامل الزمن وتقلبات الأحوال ، لا بد فاعلة فعلها فيما بين الزوجين من علاقات ، قد يصل بها الى حد الكراهية •

وهنا يحض القرآن الرجل على التمسك بزوجته الى أقصى حد ، ويغريه بالصبر على ما طرأ على شعوره نحوها من بغض وكراهية ، فلعلها مع ذلك تكون خيرا له من كثيرات غيرها :

﴿ وعاشروهن بالمعروف ، فان كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا ﴾ (النساء : ١٩) •

يقول **ابن كثير** فى تفسير هذه الآية : « طيبوا أقوالكم لهن ، وحسنوا أفعالكم وهيئاتكم بحسب قدرتكم ، كما تحب ذلك منها فافعل أنت بها مثله كما قال تعالى : ﴿ **ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف** ﴾ • (البقرة : ٢٢٨) • وقال رسول الله ﷺ : « خيركم خيركم لأهله ، وأنا خيركم لأهلى » •

وكان من أخلاقه ﷺ ، أنه جميل العشرة ، دائم البشر ، يداعب أهله ، ويلطف بهم ويوسع نفقته ، ويضاحك نساءه حتى انه كان يسابق عائشة أم المؤمنين ، رضى الله عنها •• قالت : سابقنى رسول الله ﷺ فسبقته ، وذلك قبل أن أحمل اللحم • ثم سابقته بعد ما حملت اللحم ، فسبقنى ، فقال : « هذه بتلك » •

*

● **ادارة البيت المسلم :**

ولقد بينت تعاليم الرسول كثيرا مما يتعلق بادارة البيت المسلم ، سواء بصورة عامة ، أو دخولا فى تفاصيل •

فالمرأة هى راعية البيت ، كما أن الحاكم هو راع للمحكومين •

فقد قال عبد الله بن عمر : سمعت رسول الله ﷺ يقول :
« **كلكم راع ، وكلكم مسئول عن رعيته :**
الامام راع ومسئول عن رعيته ،
والرجل راع فى أهله وهو مسئول عن رعيته ،
والمرأة راعية فى بيت زوجها ، ومسئولة عن رعيتها ،
والخادم راع فى مال سيده ، ومسئول عن رعيته ،
وكلكم راع ومسئول عن رعيته » (رواه البخارى) .

واذا جئنا الى موضوع الانفاق ، وما قد يقال أحيانا عن امساك بعض الرجال أيديهم مقابل اسراف بعض الزوجات ، نجد حديثا عن عائشة قالت : قال رسول الله ﷺ : « اذا أنفقت المرأة من طعام بيتها ، غير مفسدة ، كان لها أجرها بما أنفقت ، ولزوجها أجره بما كسب ، وللخازن مثل ذلك ، لا ينقص بعضهم أجر بعض شيئا » (رواه البخارى).

ولقد قالت هند أم معاوية لرسول الله ﷺ : ان أبا سفيان رجل شحيح ، فهل على جناح أن آخذ من ماله سرا ؟ قال : « خذى أنت وبنوك ما يكفيك بالمعروف » (رواه البخارى) .

يقول المستشار ابراهيم فوزى : « **لم يرد نص فى الشريعة يلزم المراة بالانفاق على نفسها من مالها ، ان كان لها مال ، أو يلزمها بالانفاق على زوجها وأولادها ، ان كان الزوج معسرا أو عاجزا عن العمل وكانت هى موسرة** .

وقد أخذ رجال الفقه الاسلامى بالنصوص التى تلزم الرجل بالانفاق على زوجته ، دون تمييز بين المرأة الميسورة والمرأة التى لا مال لها ، ودون النظر الى حالة الزوج عسرا أو يسرا ، وأعطوها حق الافتراق عنه اذا قصر بالانفاق عليها مهما كان معسرا »[1] .

---

(١) أحكام الأسرة فى الجاهلية والاسلام : ص ١١٠ ـ ١١١

ويقول الامام الأكبر محمود شلتوت : « ذلكم الحق الذى منحته الشريعة الاسلامية للمرأة من نحو (أربعة عشر قرنا) فلم تبح للرجل أن يأكل من مالها ــ فضلا عن تملكه والتصرف فيه ــ الا اذا كان عن طيب نفس منها : ﴿**فان طبن لكم عن شيء منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا**﴾(١) (النساء : ٤)

هذا ــ ولقد حدث أن جاء رجل « الى عمر رضى الله عنه ، يشكو خلق زوجته . فوقف على بابه ينتظر خروجه ، فسمع امرأة عمر تستطيل عليه بلسانها وتخاصمه ، وعمر ساكت لا يرد عليها .

فانصرف الرجل راجعا ، وقال : ان كان هذا حال عمر مع شدته وصلابته وهو أمير المؤمنين ، فكيف حالى ؟!

وخرج عمر ، فرآه موليا عن بابه ، فناداه وقال : ما حاجتك أيها الرجل ؟

فقال : يا أمير المؤمنين ، جئت أشكو اليك سوء خلق امرأتى واستطالتها على ، فسمعت زوجتك كذلك ، فرجعت وقلت : اذا كان هذا حال أمير المؤمنين مع زوجته ، فكيف حالى ؟!

فقال عمر : يا أخى ، انى احتملتها لحقوق لها على : انها لطباخة لطعامى . خبازه لخبزى . غسالة لثيابى . مرضعة لولدى ــ **وليس ذلك كله بواجب عليها ــ ويسكن قلبى بها عن الحرام . فأنا احتملها لذلك .**

فقال الرجل : يا أمير المؤمنين ، وكذلك زوجتى .

قال عمر : فاحتملها يا أخى ، فانما هى مدة يسيرة .

وفى الصحيحين ، قال عليه الصلاة والسلام : « لا يفرك المؤمن مؤمنة . ان كره منها خلقا ، رضى منها آخر »(١) .

❋

---

(١) الاسلام عقيدة وشريعة ــ ص ١٥٥

ويقول الامام الأكبر محمود شلتوت : « قد تكلم الفقهاء كثيرا فى حق الرجل على المرأة ، وحق المرأة على الرجل • والحق الذى تهدى اليه الفطرة فى شأن الزوجين : هو ما قضى به النبى ﷺ بين على ، وابنته فاطمة : قضى على ابنته بخدمة البيت ورعايته ، وعلى زوجها بما كان خارجا عن البيت من عمل •

فعليها تدبير المنزل ورعاية لأطفال ، وعلى الرجل السعى والكسب • •

وفى القاعدة التى قرر القرآن بها المماثلة بين الزوجين فى الحقوق والواجبات ، قرر على الرجل مسئولية الهيمنة والقوامة ، وجعله المكلف بحق المرأة فيما يصل بها الى الخير ويدفع عنها الشر ، فقال : ﴿ **وللرجال عليهن درجة** ﴾ (البقرة : ٢٢٨) • وهذه الدرجة ليست درجة السلطان ولا درجة القهر ، وانما هى درجة الرياسة البيتية الناشئة عن عهد الزوجية وضرورة الاجتماع ، هى درجة القوامة التى كلفها الرجل ، وهى درجة تزيد فى مسئوليته عن مسئوليتها • فهى ترجع فى شأنها وشأن أبنائها وشأن منزلها اليه : تطالبه بالانفاق ، وتطالبه بما ليس فى قدرتها ، وما ليس لها من سبيل اليه •

وهذه المسئولية أساسها فى تحميل الرجل اياها ، هو ما أشارت اليه الآية الكريمة التى تقول : ﴿ **الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما انفقوا من اموالهم** ﴾ (النساء : ٣٤) .

أمران قضت بتحملهما طبيعة الرجل : **القيام بمشاق الأمور ،**

---

(١) المرأة فى التصور الاسلامى — ص ١٥٣

وأساس ذلك ما أودع الله فيه من قوة البدن والعزم والعمل ، **والانفاق** فيما يحتاج اليه البيت من مطعم وملبس ، وما تنشرح به صدور الأبناء والأسرة .

ولقد يكون فى قوله تعالى : ﴿ **بما فضل الله بعضهم على بعض** ﴾ . دون أن يقول : بما فضلهم عليهن ، اشارة واضحة الى أن هذا التفضيل ليس الا كتفضيل بعض أعضاء الجسم الواحد على البعض الآخر . وأنه لا غضاضة فى أن تكون اليد اليمنى أفضل من اليد اليسرى ، ولا فى أن يكون العقل أفضل من البصر ، ما دام الخلق الالهى اقتضى ذلك .

واذن ، فهى درجة طبيعية لا بد منها لكل مجتمع من المجتمعات ، قل ذلك المجتمع أو كثر . وليس من الحكمة فى نظر شرع أو وضع أن يترك مجتمع دون أن يعرف له رئيس يرجع اليه فى الرأى ، وعند الاختلاف ، وفى مهام الشئون .

واذا تصور مجتمع على هذا النحو ، ليس له محور يدور حوله ويعتصم به ، فهو مجتمع مآله حتما الى السقوط والانحلال . مجتمع صائر لا محالة الى الفوضى والاضطراب بالتنازع والتضارب وتناقض الرغبات . وبذلك ينقلب المجتمع رأسا على عقب ، تتفكك وحداته ، وتتناثر لبناته ، وتضيع الثمرات التى عقدت به ..

بنى الاسلام المجتمعات : فى ادارتها وتنظيم شئونها ــ مع تعيين مصدر القوامة فيها ــ على أساس من الشورى وتبادل الرأى ... فقال : ﴿ **وامرهم شورى بينهم** ﴾ (الشورى : ٣٨) .

ولم تكن الشورى أساسا لمجتمع الحاكم والمحكوم فقط ، وانما هى أساس لكل مجتمع ، حتى مجتمع الرجل وزوجه فى البيت والأسرة .

وقد جاء ذلك فى صريح القرآن فيما يتعلق بحق ابداء الرأى فى فطام الطفل ورضاعه . ولم يجعل للرجل ولا للمرأة حق الاستئثار به دون الرجوع الى صاحبه :

﴿ والوالدات يرضعن اولادهن حولين كاملين ، لمن أراد أن يتم الرضاعة ، وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف ، لا تكلف نفس الا وسعها ، لا تضار والدة بولدها ولا مولود له بولده ، وعلى الوارث مثل ذلك ، فان أرادا فصالا عن تراض منهما وتشاور فلا جناح عليهما ﴾ (البقرة : ٢٣٣)

حقوق موزعة على الزوجين : ارضاع على الزوجة ، ونفقة على الزوج ، دون ارهاق ولا مشقة ، ودون مضارة أو ايذاء . ثم تشاور فى الرأى وتراض من جهة الرضاع أو الفطام .

واذا كان للزوجة حق ابداء الرأى فى نظام تربية الولد وارضاعه ، واشترط القرآن فى ذلك ارادتها مع ارادة الرجل ، ورضاها مع رضاه ، **فان ذلك يكون شانها معه فى كل ما يعترضهما من شئون تحتاج الى التشاور والى تبادل الرأى .**

كيف والمشورة بينهما مما يشعر المرأة بأنها ذات مسئولية مشتركة ، وأنها تعيش فى جو حياة مشتركة ، يهمها صلاحها ، ويوغر صدرها فسادها ، فتكتل قواها ، وتجمع أمرها على الحفظ والصيانة ، وكمال الاشراف والرعاية .

اما ذلك الزوج الذى يمنح نفسه السلطان المستقل ، والأمر النافذ القاهر ، تاركا زوجه وراء ظهره ، متاعا لا ينظر اليه الا حيث يريده ، فهو زوج دخيل على الحياة الزوجية التى رسمها الاسلام ، لا يمثلها ولا يكون مرآة لها . هو زوج لا يعرف معنى قوله تعالى : **﴿ واخذن منكم ميثاقا غليظا ﴾** . (النساء : ٢١) .

ولا معنى قوله تعالى : ﴿ **هن لباس لكم وانتم لباس لهن** ﴾ (البقرة : ١٨٧)

ولا معنى قوله تعالى : ﴿ **ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم ازواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة** ﴾ [1] (الروم : ٢١) .

* *

● **مشاكل تهدد الحياة الزوجية :**

لا يخلو بيت من مشاكل ، وان اختفت حينا فلا بد أن تظهر فى أحيان كثيرة . فهذا واقع الحياة وهو واقع مشهود ومحسوس .

وفى سبيل الحفاظ على الحياة الزوجية واستمراريتها ، وضع القرآن تعاليما تعين الزوجين على تحقيق ذلك ، ان صدقت عزيمتهما . وتسير خطوات المعالجة متسلسلة كالآتى :

١ ـ **الزوجان يبدآن الاصلاح :** ان الزوجين هما أعلم الناس بما يدور بينهما ، وما يتهدد حياتهما الزوجية من شقاق بدت أعراضه فى جفاء وفتور فى العلاقات . وهما أقدر الناس على تدارك ذلك باجراء مراجعة شاملة لما كان بينهما ، واعتراف كل منهما لصاحبه بما بدر منه من اساءات ، قد يكفى لغفرانها وعد صادق بعدم التكرار ، مع كلمة رقيقة بالاعتذار .

﴿ **وان امرأة خافت من بعلها نشوزا او اعراضا فلا جناح عليهما أن يصلحا بينهما صلحا ، والصلح خير ، واحضرت الأنفس الشح ، وان تحسنوا وتتقوا فان الله كان بما تعملون خبيرا** ﴾ (النساء : ١٢٨)

---

(١) الاسلام : عقيدة وشريعة ـ ص ١٥٥ ـ ١٦٠

٢ ـ **الحكمان يحاولان الاصلاح :** اذا عجز الزوجان عن الاصلاح بينهما ، وسارت الأمور الى الأسوأ ، فلا مناص من تدخل خارجى •

ويكون ذلك باختيار حكم من قبل الزوج ، وحكم من قبل الزوجة ، يفترض فى كل منهما أن يكون حريصا على استمرارية الحياة الزوجية مع رفع الضرر أو الأذى الذى لحق بأى من الزوجين • فالاصلاح بين الناس تعليم الهى لكل المؤمنين :

﴿ **انما المؤمنون اخوة فاصلحوا بين اخويكم** ﴾ (الحجرات : ١٠) •

ولهذا كان الاصلاح بين الزوجين واجبا على المسلمين قبل أن تصل الأمور بينهما الى حد القطيعة التى لا يرجى معها اصلاح :

﴿ **وان خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من أهله وحكما من اهلها ان يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما ، ان الله كان عليما خبيرا** ﴾

(النساء : ٣٥)

* *

● **ابغض الحلال الى الله الطلاق :**

اذا فشلت كل الوسائل لتحقيق المصالحة بين الزوجين ، وأصر كل منهما على موقفه ، وبدت المعيشة بينهما مستحيلة ، فآخر الدواء الكى ، كما يقول المثل السائر مجازا من الطب البدوى ، أو البتر بلغة الطب الحديث •

لا مناص ، اذن ، من الطلاق الذى هو من المؤكد مطلب لأحد الزوجين ، بل انه قد يكون مطلب كليهما •

لقد فرض الله على الأزواج أن يعاشروا زوجاتهم بالحسنى ، فقال : ﴿ **وعاشروهن بالمعروف** ﴾ (النساء ١٩) •

وقال النبى ﷺ فى حجة الوداع : « **اتقوا الله فى النساء** » (رواه مسلم) .

ولا يستطيع أحد أن يدعى أن مسئولية هدم بيت الزوجية تقع دائما على عاتق الزوج ؛ أو دائما على عاتق الزوجة ، بل انها تختلف من حالة لأخرى .

ولما كان الطلاق أبغض ما يسمح به الله ـ كما علمنا سيدنا رسول الله فى حديثه ـ صار اللجوء اليه ، لا أقول بعد استنفاد كل وسائل الاصلاح ، بل أقول بعد استنفاد كل طاقات الصبر ، أمرا لا مفر منه ، فلا بد أن تسير الحياة بأقل الخسائر والأضرار ، ولا مانع أن يسمح بضرر أقل درءا لأضرار أكبر ، وشرور أفظع .

على أن الطلاق لا يعنى الفرقة الدائمة بين الزوجين الا فى حالة خاصة ، وفيما عداها فهو تفرقة الى حين ، لعلها تكون عاملا نفسيا يساعد على تهدئة النفوس الثائرة ، وتضميد الجراح الحقيقية أو المتوهمة ، بعد أن يراجع كل من الزوجين موقفه ويتبين له أن بيت الزوجية قد تصدع . وأن افتراقهما ومحاولة كل منهما الدخول فى حياة زوجية جديدة قد تكون مخاطرة مجهولة المحاذير ، أهون منها تلك المعيشة التى خبراها بشرها وحلوها . بالاضافة الى ما يلحق الأولاد ، فلذات الأكباد ، من أذى وضرار لافتراق الأبوين .

وهنا يسير الطلاق وفق قيود وضوابط ، تعمل جميعها من أجل كبح الفرقة الدائمة ، كالآتى :

١ ـ الطلاق فى طهر : قال **ابن كثير** : « طلق ابن عمر امرأته حائضا على عهد رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ : ليراجعها ـ فردها ، وقال **اذا طهرت فليطلق أو يمسك** » .

والاتفاق بين العلماء على أن **الطلاق لا يصح الا اذا كانت المرأة فى طهر من غير جماع ، أو حاملا قد استبان حملها** •

*

٢ ــ الرجوع عن الطلاق فى فترة العدة : تعرف العدة بأنها المدة التى تتربص فيها المرأة بعد طلاقها أو وفاة زوجها ، كى يحل لها الزواج من غيره • وقد أمر الله باحصاء العدة نظرا لأهميتها فى الحياة الزوجية فقال :

﴿ يا أيها النبى اذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن وأحصوا العدة ﴾ (الطلاق : ١)

وبالنسبة للمرأة العادية ، فقد حدد القرآن العدة بثلاثة قروء ، فقال : **﴿ والمطلقات يتربصن بانفسهن ثلاثة قروء ، ولا يحل لهن ان يكتمن ما خلق الله فى أرحامهن ان كن يؤمن بالله واليوم الآخر ﴾** (البقرة : ٢٢٨)

والقرء ــ لغة ــ هو الحيض ، وهو أيضا الطهر ، فهو من الأضداد ، وبذلك يكون على المطلقة أن تمكث بعد طلاق زوجها لها طلاقا صحيحا ، مدة ثلاثة قروء ، أى بعد وقوع ثلاث حيضات بعد الطلاق ، قبل أن يحل لها الزواج بآخر • وبذلك قد تصل مدة العدة ، للمرأة العادية ، نحو ثلاثة أشهر ، وقد تقل الى الشهرين • ويتوقف ذلك على مدة دورتها الشهرية وتوقيت ايقاع الطلاق فى فترة الطهر •

ولقد أمر الله بابقاء الزوجة المطلقة فى منزل الزوجية خلال فترة العدة ، الا فى حالة ترديها فى ايذاءة والفحشاء ، بل انه ــ سبحانه ــ كرمها كل التكريم حيث جعل منزل الزوجية بيتها ، فقال : **﴿ واتقوا الله ربكم ، لا تخرجوهن من بيوتهن ولا يخرجن الا أن يأتين بفاحشة مبينة ، وتلك حدود الله ، ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه ، لا تدرى لعل الله يحدث بعد ذلك امرا ﴾** (الطلاق : ١) •

لقد وضحت الحكمة من فترة العدة ، ومعيشة الزوجين خلالها في بيت الزوجية الذى سماه الله بيتها ، وذلك لكى تستعيد النفوس صفاءها وتضمد الجراح ، ويبدأ تفكير الزوجين فى نبذ الطلاق الذى وقعا فيه .

وخلال مدة العدة يستطيع الزوج مراجعة زوجته واعادتها لعصمته ، دون حاجة الى عقد جديد أو مهر جديد . فكلمة ، أو غيرها ، تكفى لاستئناف الحياة الزوجية من جديد :

﴿ وبعولتهن أحق بردهن فى ذلك ان ارادوا اصلاحا ﴾
(البقرة : ٢٢٨)

لكن الأمر ليس عبثا ، فقد حسبت عليه طلقة .

*

٣ ـ **الطلاق مرتان** : لقد سمح الله بايقاع الطلاق مرتين اثنتين فقط ، يستطيع الزوج خلال عدتهما مراجعة زوجته دون عقد ومهر ، أما اذا أسرف الزوج على نفسه وأوقع بزوجته الطلقة الثالثة ، فقد بانت منه بينونة كبرى . وسواء انتهت الحياة الزوجية بالطلاق ، أم استعيدت مرة أخرى ، فقد أمر الله ـ سبحانه ـ بالمعروف والاحسان بين الزوجين .

﴿ الطلاق مرتان ، فامساك بمعروف او تسريح باحسان ، ولا يحل لكم أن تاخذوا مما آتيتموهن شيئا الا أن يخافا الا يقيما حدود الله ، فان خفتم الا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به ، تلك حدود الله فلا تعتدوها ، ومن يتعد حدود الله فاولئك هم الظالمون . فان طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره ، فان طلقها فلا جناح عليهما أن يتراجعا ان ظنا أن يقيما حدود الله ، وتلك حدود الله يبينها لقوم يعلمون . واذا طلقتم النساء فبلغن اجلهن فامسكوهن بمعروف او سرحوهن

بمعروف ، ولا تمسكوهن ضرارا لتعتدوا ، ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه ، ولا تتخذوا آيات الله هزوا ، واذكروا نعمة الله عليكم وما أنزل عليكم من الكتاب والحكمة يعظكم به ، واتقوا الله واعلموا أن الله بكل شيء عليم • وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن ، فلا تعضلوهن أن ينكحن أزواجهن اذا تراضوا بينهم بالمعروف ، ذلك يوعظ به من كان منكم يؤمن بالله واليوم الآخر ، ذلكم أزكى لكم وأطهر ، والله يعلم وأنتم لا تعلمون ﴾
(البقرة ٢٢٩ ــ ٢٣٢)

هذا ــ ويسمح للزوج الذى طلق زوجته مرة واحدة ، أو مرتين ، وانقضت عدتها دون أن يراجعها فيها ولم تتزوج بعد من رجل آخر ، أن يعود الى الزواج منها بعقد جديد ومهر جديد •

ويحق للمرأة أن تجعل العصمة بيدها فى عقد الزواج ، كما يحق للزوجة أن تطلب الطلاق من القاضى بعد اثبات استحالة دوام العشرة مع زوجها •

وأيضا يحق للزوجة المطلقة أن ترث فى زوجها اذا مات قبل أن تنقضى عدتها •

*

يقول الامام محمود شلتوت : « لم يجعل الطلاق كلمة يلقيها الزوج على زوجه ، فتحرم أحدهما على الآخر تحريما أبديا لا رجعة فيه ولا التئاما ، وانما سلك به طريق العلاج ، وكرر فى مراحله حتى يمتد أمد النظر والتبصر • فشرعه أولا مفرقا مرة بعد أخرى ، دفعات متعددة ليجرب الرجل نفسه بعد المرة الأولى والثانية ، ويروضها على الصبر والاحتمال ، ولتجرب المرأة أيضا نفسها • حتى اذا لم تفد التجارب وأوقع الطلقة الثالثة ، وضع أمامهما حاجزا ، وهو أنه لا يباح لهما

رجع الحياة الزوجية الا بعد شرط ، فى تصوره ما قد يمنع الرجل عن ايقاع هذه الطلقة الثالثة . وذلكم الشرط هو المشار اليه بقوله تعالى : ﴿ فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره ﴾ (البقرة : ٢٣٠) .

وما دام لم يصل الرجل الى الطلقة الثالثة ، فان الاسلام يغريه بالرجوع الى زوجه ، ويمكنها منه بكلمة (المراجعة) فقط دون تجديد عقد ما دامت فى عدتها ..

ان الطلاق فى جميع صوره التى يقع فيها ، ليس الا نوعا من اعطاء فسحة للزوجين يتدبران فيها أمرهما ، ولعلهما يجدان ما يدفعهما الى العودة الى الحياة الزوجية ، اما بكلمة المراجعة ، واما باجراء عقد آخر جديد يستأنفان به حياة زوجية جديدة ، بعد أن تمثل لهما شبح الافتراق الدائم المستمر .

واذن ، يكون الطلاق من هذه الوجهة ـ فيما عدا المكمل للثلاث ـ وسيلة من وسائل الاحتفاظ بالحياة الزوجية ، ويكون بمثابة العلاج ببتر بعض الأعضاء . أما المكمل للثلاث ، فقد بلغت فيه التجربة أقصى حد لها ، فضيق فيه أمر العلاج باشتراط أن تنكح المرأة زوجا غيره »[1] . وبشرط ألا يحدث ذلك وفق تدبير سابق من أى من الطرفين ، انما يأتى عرضا ساقته تقلبات الحياة .

ومهما تكن مرارة وضع الزوجين بعد افتراقهما بالطلاق ، فيجب ألا يكون ذلك نهاية الحياة لأى منهما . فلعل الله يعوض كلا منهما بمن هو خير ، فما ذلك على الله بعزيز . بل لعل هذا الأمل هو ما يبثه قول الله فى النفوس التى اكتوت بنار الفراق : ﴿ وان يتفرقا يغن الله كلا من سعته ، وكان الله واسعا حكيما ﴾ (النساء : ١٣٠) .

* *

(١) المرجع السابق ـ ص ١٧٣ ـ ١٧٦

● **مسئوليات الرجل بعد الطلاق :**

فرض الله على الرجال معاشرة زوجاتهم بالمعروف ، فقال سبحانه :

﴿ **وعاشروهن بالمعروف** ﴾ (النساء : ١٩) .

واذا حدث طلاق ثم أرجع الرجل امرأته الى عصمته ، عاد القرآن ليؤكد مرة أخرى ضرورة امساكها بمعروف ، وليس من أجل ايقاع الضرر بها ، فقال :

﴿ **واذا طلقتم النساء فبلغن آجلهن فامسكوهن بمعروف أو سرحوهن بمعروف ، ولا تمسكوهن ضرارا لتعتدوا ، ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه** ﴾ (البقرة : ٢٣١)

أما اذا كان الفراق ، فقد أمر الله أن يكون ذلك أيضا بالمعروف والاحسان ، فقال :

﴿ **سرحوهن بمعروف** ﴾ (البقرة : ٢٣١) .

﴿ **تسريح باحسان** ﴾ (البقرة : ٢٢٩) .

ولما كان المعروف والاحسان يمكن أن يشتمل على جانب أخلاقى يتمثل فى المعاملة والسلوك ، وجانب آخر مادى يتمثل فى البذل والعطاء ، فقد أكد القرآن على قيام الرجل الذى طلق زوجته بدفع تعويض مادى لها ، سماه متعة ، به تقوم حياتها فى فترة ما بعد الطلاق الى أن يجعل الله لها مخرجا من أزمتها . وقد اعتبرت هذه المتعة حقا للمطلقة ، فقال سبحانه : ﴿ **وللمطلقات متاع بالمعروف ، حقا على المتقين** ﴾ (البقرة : ٢٤١)

﴿ **لا جناح عليكم ان طلقتم النساء ما لم تمسوهن أو تفرضوا لهن فريضة ، ومتعوهن على الموسع قدره وعلى المقتر قدره متاعا بالمعروف ، حقا على المحسنين . وان طلقتموهن من قبل أن تمسوهن وقد فرضتم لهن**

فريضة فنصف ما فرضتم الا أن يعفون أو يعفوا الذى بيده عقدة النكاح ، وأن تعفوا أقرب للتقوى ، ولا تنسوا الفضل بينكم ، ان الله بما تعملون بصير » (البقرة : ٢٣٦ ــ ٣٧ه) .

وبالنسبة للاسكان والانفاق ، وخاصة ذوات الأحمال منهن ، يقول الحق : « أسكنوهن من حيث سكنتم من وجدكم ولا تضاروهن لتضيقوا عليهن ، وان كن أولات حمل فانفقوا عليهن حتى يضعن حملهن ، فان أرضعن لكم فآتوهن اجورهن ، وأتمروا بينكم بمعروف ، وان تعاسرتم فسترضع له أخرى . لينفق ذو سعة من سعته ، ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله ، لا يكلف الله نفسا الا ما آتاها ، سيجعل الله بعد عسر يسرا » (الطلاق : ٦ ، ٧) .

*

لقد رأينا كيف يقوم الطلاق فى التوراة على مجرد ورقة مكتوبة يعطيها الرجل لمطلقته . ثم جاءت تعاليم الانجيل لتمنع الطلاق الا لعلة الزنا ، حسب قول متى . أما فى الاسلام فهناك مواجهة لواقع الحياة الذى برهن على حاجة الحياة الزوجية الى اللجوء الى الطلاق كمتنفس أخير وعلاج بغيض لا بد منه فى بعض الحالات . لكن هذا العلاج تسبقه خطوات واجراءات تكبح اللجوء اليه ، وتعقبه تبعات ومسئوليات يتحمل الرجل فيها الغرم المادى بوجه عام .

* *

● **الأعباء المالية للرجل :**

ذكرنا ، فيما سبق ، بعض الأعباء المالية التى تلزم الشريعة الاسلامية الرجل بتحملها وخاصة فى مجال الانفاق على بيت الزوجية ، بل قبل ذلك فى مسئوليته عن تدبير المسكن المناسب لزوجته .

ونريد الآن استعراض أهم تلك الأعباء المالية التى يلتزم بها الرجل فى حياته الزوجية والأسرية .

يقول الامام الأكبر محمود شلتوت ان الشريعة الاسلامية قضت « أن يحتمل الرجل نفقات الأسرة من زوجة ، وبنين ، وأقارب .

وأن يحتمل كذلك المهر الذى يقدمه للمرأة عنوانا على رغبته فيها ، وبذله ما يجب فى سبيل الاقتران بها .

وأن تحتمل المرأة تدبير البيت ، وشئون الحمل والوضع والتفرغ لحضانة الأطفال ، والقيام على أمرهم .

وفى ظل هذا الأساس نرى بالموازنة بين نصيب الرجل والمرأة ، أن المرأة أسعد حظا من الرجل فى نظر الاسلام :

أوجب لها مهرا لا حد لأكثره : ﴿ **وآتيتم احداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيئا** ﴾ (النساء : ٢٠) .

وأوجب لها على الرجل : نفقتها ، وكسوتها ، وجميع ما تحتاج اليه بالمعروف لبيئتها ، حتى أوجب الخادمة والخادمتين : ﴿ **لينفق ذو سعة من سعته** ﴾ (الطلاق : ٧) .

وأوجب لها اذا ما طلقت : (**نفقة العدة**) على نحو ما وجبت لها فى حياتها الزوجية ، وأوجب لها (**المتعة**) ، وهى ما يبذله الرجل بعد طلاقها غير نفقة العدة ، مما تحفظ به نفسها وكيانها : ﴿ **وللمطلقات متاع بالمعروف ، حقا على المتقين** ﴾ (البقرة : ٢٤١) .

أما الرجل فهو كما قلنا مطالب بنفقته على نفسه وعلى أولاده وعليها ، وعلى نوائب الحياة كلها التى تنشأ من مكافحته فيها ، ثم على والديه وأقاربه اذا كانوا ضعافا أو فقراء .

واذن ، فبماذا يمتاز الرجل عنها »[1] ؟!

ان الرجل مطالب بكافة الأعباء المالية ، أما المراة ، الزوجة ، فلا تطالب بأى شيء . ان جادت بشيء من مالها ، فذاك فضلها ، وان أمسكت فهذا حقها ، ولا تثريب عليها .

* *

● **ميراث المراة :**

اولا ــ نص القرآن الكريم على المساواة فى الميراث بين الذكر والانثى فى حالات ، كالآتى :

١ ــ فيما بين الأخ والأخت لأم فى ارثهما من أخيهما ، اذا لم يكن له أصل من الذكور ولا فرع وارث .

﴿ وان كان رجل يورث كلالة أو امراة وله اخ أو أخت فلكل واحد منهما السدس ، فان كانوا أكثر من ذلك فهم شركاء فى الثلث ، من بعد وصية يوصى بها أو دين غير مضار ، وصية من الله ، والله عليم حليم﴾
(النساء : ١٢)

يقول ابن كثير : « الدين مقدم على الوصية ، وبعده الوصية ثم الميراث . وهذا أمر مجمع عليه بين العلماء ..

الكلالة مشتقة من الاكليل وهو الذى يحيط بالرأس من جوانبه ، والمراد هنا من يرثه من حواشيه ، لا أصوله ولا فروعه ، كما روى الشعبى عن أبى بكر الصديق أنه سئل عن الكلالة فقال : الكلالة من لا ولد له ولا والد ..

وقال ابن أبى حاتم : حدثنا يونس ، حدثنا ابن وهب ، أخبرنا يونس عن الزهرى ، قال : **قضى عمر ان ميراث الأخوة من الأم بينهم للذكر مثل حظ الأنثى .**

---

(١) المرجع السابق ــ ص ٢٣٨

قال الزهرى : ولا أرى عمر قضى بذلك حتى علم ذلك من رسول الله ﷺ » .

٢ ــ فيما بين الأب والأم فى ارثهما من ولدهما ان كان له ولد :

﴿ **ولأبويه لكل واحد منهما السدس مما ترك ان كان له ولد** ﴾ (النساء : ١١)

ثانيا ــ نص القرآن على جعل نصيب الذكر ضعف نصيب الأنثى فى الميراث فى حالات ، كالآتى :

١ ــ فى حالة وجود أولاد للمتوفى ، ذكورا واناثا .

﴿ **يوصيكم الله فى أولادكم ، للذكر مثل حظ الأنثيين** ﴾ (النساء : ١١)

٢ ــ فى حالة التوارث بين الزوجين ، حيث يرث الزوج من زوجته ضعف ما ترثه هى منه .

﴿ **ولكم نصف ما ترك أزواجكم ان لم يكن لهن ولد ، فان كان لهن ولد فلكم الربع مما تركن ، من بعد وصية يوصين بها أو دين ، ولهن الربع مما تركتم ان لم يكن لكم ولد ، فان كان لكم ولد فلهن الثمن مما تركتم ، من بعد وصية توصون بها أو دين** ﴾ (النساء : ١٢) .

ويلزمنا فى هذه الحالة أن نتذكر الأعباء المالية الملقاة على عاتق الرجل وقد أعفيت منها المرأة ، لنعلم الحكمة من التوريث هنا حسب قاعدة : ﴿ للذكر مثل حظ الأنثيين ﴾ فهذا عدل لا مراء فيه ، اقتضته الموازنة السليمة بين حقوق الرجل وواجباته ، مترجمة فى صورة مالية .

*

وبعد ... هذا مما أعطاه الاسلام للمرأة ، فأرونى ماذا أعطى الذين من دونه ! ... ﴿ **لكن الظالمون اليوم فى ضلال مبين** ﴾ .
(مريم : ٣٨)

* *

● شـــهادة المرأة :

يتوقف الحكم فى مختلف القضايا بين الناس على شهادة الشـهود وما تتم به البينـة من أدلة قوية لا يتسرب اليهـا الاحتمـال ، وقرائن قطعية ، تتفاعل جميعها فى فكر القاضى ؛ فيصدر حكمه وفقا للقانون ، وهو مستريح الضمير .

وهناك أنواع من القضايا لا يتوقف الحكم فيها على مجرد اتفاق عدد من الشهود حول واقعة ما ، بل تكون المصداقية متوقفة على خبرة الشهود ونوعيتهم ، لا على عددهم .

مثال ذلك : تقارير الطب الشرعى ، وخبراء البصمات ، ومكافحـة التزييف ... الخ .

والحق يقول ، وقوله الحق : « ولا ينبئك مثل خبير » (فاطر : ١٤) .

ومن هنا تنوعت المواقف بالنسبة لشهادة المرأة .

١ ـ فهناك مواقف تكون فيها شهادة المرأة كشهادة الرجل تماما .

وفى هذا يقول الامام الأكبر محمود شلتوت : « نص القرآن على أن المرأة كالرجل ـ سواء بسواء ـ فى شهادات اللعان ، وهو ما شرعه القرآن بين الزوجين حينما يقذف الرجل زوجه وليس له على ما يقول شـهود :

« والذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم شهداء الا انفسهم فشـهادة أحدهم أربع شهادات بالله انه لمن الصادقين . والخامسة أن لعنة الله عليه ان كان من الكاذبين . ويدرؤا عنها العذاب أن تشهد أربع شهادات بالله انه لمن الكاذبين . والخامسة أن غضب الله عليها ان كان من الصـادقين »

(النور : ٦ ـ ٩)

أربع شهادات من الرجل يعقبها استمطار لعنة الله عليه ان كان من الكاذبين ، ويقابلها ويبطل عملها أربع شهادات من المرأة يعقبها استمطار غضب الله عليها ان كان من الصادقين »[1] .

* *

٢ ـ وهناك مواقف تكون فيها شهادة امرأتين مكافئة لشهادة رجل .

وذلك فى مقام المعاملات المالية والتجارية ومعاملات الأسواق وما الى ذلك . ولقد جاء هذا فى آية الدين ، التى تعتبر أطول آية فى القرآن ، اذ يقول الله فيها :

﴿ يا أيها الذين آمنوا اذا تداينتم بدين الى أجل مسمى فاكتبوه ، وليكتب بينكم كاتب بالعدل ، ولا يأب كاتب أن يكتب كما علمه الله ، فليكتب وليملل الذى عليه الحق وليتق الله ربه ولا يبخس منه شيئا ، فان كان الذى عليه الحق سفيها أو ضعيفا أو لا يستطيع أن يمل هو فليملل وليه بالعدل ، واستشهدوا شهيدين من رجالكم ، فان لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء أن تضل احداهما فتذكر احداهما الأخرى ، ولا يأب الشهداء اذا ما دعوا ، ولا تسأموا أن تكتبوه صغيرا او كبيرا الى أجله ، ذلكم أقسط عند الله وأقوم للشهادة وأدنى الا ترتابوا ، الا أن تكون تجارة حاضرة تديرونها بينكم فليس عليكم جناح الا تكتبوها ، وأشهدوا اذا تبايعتم ، ولا يضار كاتب ولا شهيد ، وان تفعلوا فانه فسوق بكم ، واتقوا الله ، ويعلمكم الله ، والله بكل شيء عليم ﴾
(البقرة : ٢٨٢)

يقول الامام الأكبر محمود شلتوت : « المقام مقام استيثاق على

---

(١) المرجع السابق ـ ص ٢٤١

الحقوق ، لا مقام قضاء بها ، والآية ترشد الى أفضل أنواع الاستيثاق الذى تطمئن به نفوس المتعاملين على حقوقها .

وليس معنى هذا ان شهادة المرأة الواحدة ، أو شهادة النساء اللاتى ليس معهن رجل ، لا يثبت بها الحق ولا يحكم بها القاضى . فان أقصى ما يطلبه القضاء هو (**البينة**) . وقد حقق العلامة **ابن القيم** أن البينة فى الشرع أعم من الشهادة ، وأن كل ما يتبين به الحق ويظهره ، هو بينة يقضى بها القاضى ويحكم . ومن ذلك يحكم القاضى بالقرائن القطعية ، ويحكم بشهادة غير المسلم متى وثق بها واطمأن . واعتبار المرأتين فى الاستيثاق كالرجل الواحد ، ليس لضعف عقلها الذى يتبع نقص انسانيتها ويكون أثرا له ، وانما هو لأن المرأة — كما قال الأستاذ الشيخ محمد عبده : « ليس من شأنها الاشتغال بالمعاملات المالية ونحوها من المعاوضات ، ومن هنا تكون ذاكرتها فيها ضعيفة ، ولا تكون كذلك فى الأمور المنزلية التى هى شغلها ، فانها فيها أقوى ذاكرة من الرجل . ومن طبع البشر عامة أن يقوى تذكرهم للأمور التى تهمهم ، ويمارسونها ، ويكثر اشتغالهم بها » .

والآية جاءت على ما كان مألوفا فى شأن المرأة ، ولا يزال أكثر النساء كذلك ، لا يشهدن مجالس المداينات ، ولا يشتغلن بأسواق المبايعات ، واشتغال بعضهن بذلك لا ينافى هذا الأصل الذى تقضى به طبيعتها فى الحياة .

واذا كانت الآية ترشد الى أكمل وجوه الاستيثاق ، وكان المتعاملون فى بيئة يغلب فيها اشتغال النساء بالمبايعات وحضور مجالس المداينات ، كان لهم الحق فى الاستيثاق بالمرأة على نحو الاستيثاق بالرجل متى اطمأنوا الى تذكرها وعدم نسيانها » .

*

٣ ـ « وقد نص الفقهاء على أن من القضايا ما تقبل فيه شهادة المرأة وحدها .

وهى القضايا التى لم تجر العادة باطلاع الرجال على موضوعاتها ، كالولادة ، والبكارة ، وعيوب النساء فى القضايا الباطنية »[1] .

يقول **الحق** سبحانه : ﴿ **والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء ، ولا يحل لهن ان يكتمن ما خلق الله فى ارحامهن ان كن يؤمن بالله واليوم الآخر** ﴾ (البقرة : ٢٢٨) .

فهذه من المواقف التى تقبل فيها شهادة المرأة وحدها ، اعتمادا على صدق ايمانها ، واستثارة للوازع الدينى ، وازع الضمير اليقظ .

يقول **ابن كثير فى تفسيره** : قوله : ﴿ **ولا يحل لهن أن يكتمن ما خلق الله فى ارحامهن** ﴾ ، أى من حبل وحيض . قاله ابن عباس وابن عمر ومجاهد والشعبى .. وغير واحد . وقوله : ﴿ **ان كن يؤمن بالله واليوم الآخر** ﴾ ، تهديد لهن على خلاف الحق .

ودل هذا على ان المرجع فى هذا اليهن ، لانه أمر لا يعلم الا من جهتهن ، ويتعذر اقامة البينة غالبا على ذلك ، فرد الأمر اليهن ، وتوعدهن فيه لئلا يخبرن بغير الحق ، اما استعجالا منها لانقضاء العدة ، أو رغبة منها فى تطويلها ، لما لها فى ذلك من المقاصد ، فأمرت أن تخبر بالحق فى ذلك من غير زيادة ولا نقصان » .

* *

● **عقوبة لحماية سمعة المرأة :**

نص القرآن على عقوبة لمن يتعرض كذبا بالسوء لسمعة المرأة ، **تعرف بحد القذف** ، وذلك نظرا لخطورة تلك الجريمة على حياتها وحياة أسرتها ومستقبلها .

﴿ **والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة ابدا ، واولئك هم الفاسقون** .

---

(١) المرجع السابق ص ٢٣٩ ـ ٢٤٠

الا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فان الله غفور رحيم ﴾
(النور : ٤ ، ٥)

وقد عد رسول الله قذف المحصنات من الكبائر ، فقال : **« اجتنبوا السبع الموبقات »**. قيل : وما هن يا رسول الله ؟

قال : (الشرك بالله ، والسحر ، وقتل النفس التى حرم الله الا بالحق ، وأكل الربا ، وأكل مال اليتيم ، والتولى يوم الزحف ، **وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات »** (رواه البخارى ومسلم) .

وما من شك فى أن شعوب أوروبا ، ونساءها بوجه خاص ، كانت فى أشد الحاجة لتطبيق حد القذف على أولئك الظلمة من أهل السلطة الدينية واتباعهم ، الذين أثاروا موجات مجنونة ضد النساء عرفت باسم : **تعقب المتشيطنات وقمعهن ، بزعم أن أولئك المضطهدات كن** يمارسن الجنس مع الشيطان . ولم يكن من شهود سوى الشبهات ، وانتزاع الاعترافات منهن تحت وطأة التعذيب .

والا ، فأى عاقل هذا الذى يستطيع الشهادة بأنه رأى امرأة تمارس الجنس مع الشيطان ؟! ...

* *

وبعد ... لقد تعمدت أن تكون أغلب مادة هذا الفصل الخاص بمكانة المرأة فى الاسلام مما سطره قلم الامام الأكبر محمود شلتوت ــ شيخ الأزهر الأسبق ــ وذلك نظرا لكونه رأس أقدم مؤسسة تعليمية دينية تمتد جذورها لأكثر من ألف عام ، وتمتد اشعاعاتها العلمية والثقافية والروحية فى شتى أرجاء العالم الاسلامى ، لا بل أرجاء العالم كله . ويكفى التذكرة بأن أوروبا لم تعرف نظام **أستاذ الكرسى** فى جامعاتها التى أنشئت بعد الأزهر بقرون عديدة ، الا نقلا عن الأزهر العريق .

كذلك أختتم هذا الفصل بما قاله فضيلة الامام الأكبر فى ختام حديثه عن : **المرأة فى نظر الاسلام** ، اذ قال :

« وبعد ... فهذه عدالة الاسلام فى توزيع الحقوق العامة بين الرجل والمرأة **وهى عدالة تحقق انهما فى الانسانية سواء** » .

* *

obeikandl.com